ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٥٩/ السنة السابعة
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

روي عن النبي ﷺ:
إنَّ الَّذِيْ لَيْسَ فِيْ جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الكاظمية المقدسة
مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
العدد ٥٩- السنة السابعة
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

١٥

١٢ علاج المشاعر السلبية بين العلم والقرآن

١٨ كرامة الإنسان وصونها في ظلال الكتاب والعترة

٢٢ آفة الإملاق في القرآن الكريم

٢٦ رسول الكاظمي ـ الأستاذ القارئ .. والخادم المقرئ

٣٤ لطافة الأمثال في أحاديث رسول الله ﷺ

المشرف العام
جلال علي محمد

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

السلامة الفكرية والتدقيق اللغوي
الشيخ عماد الكاظمي

سكرتير التحرير
سمير جميل الربيعي

التصميم والإخراج الفني
عبدالله جاسم محمد

كلمة العدد

القرآنُ منهجُ حياةٍ

الإنسان بطبيعته يبحث عن سعادته التي تبعث الاطمئنان له، فهو يبحث عن النظام الأصلح الذي يحقق إليه ذلك، ولا يمكن للإنسان بحد ذاته أنْ يوجِد نظامًا متكاملاً للبشرية كلها؛ لرغباته المحدودة، وحدوده المقيدة التي يعيشها، مهما كانت قابليته المادية والمعنوية، أو مقامه العلمي والاجتماعي، فالغريزة البشرية لها أثر في اتخاذ القرار مهما كانت نسبتها، وهذا هو أهم أسباب قصور الأنظمة الاجتماعية الوضعية .. ويبقى المنهج القرآني هو الكفيل بتحقيق تلك السعادة التي يبحث عنها الإنسان وسط ذلك التراكم المعرفي للمذاهب الإنسانية، وهذا من أوليات المعرفة في النظام الإسلامي، حيث المشرِّع ومؤهلاته المطلقة التي تتجاوز الغريزة، فلا أثر لها في أي منهج ونظام يجعله في تشريعاته، ولو تتبعنا الموضوعات التي ذكرها القرآن الكريم في تنظيم حياة البشرية لرأينا حقيقة ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِيْ لِلَّتِيْ هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيْرًا﴾(الإسراء/٩)، فكان منهجه واضحًا مستقيمًا في الحفاظ على الفرد والأسرة والمجتمع، من خلال تعليماته المقدسة التي غَدَت المثل الأعلى للإنسانية، فتم تنظيم حياة الأسرة في بيان تلك الروابط وأهميتها، من خلال النصوص القرآنية المتعددة التي ذكرت ما ورد من أحداث بين الزوجين الصالحين، وبين الزوجين الطالحين، والزوج الصالح والزوجة غير الصالحة، والزوجة الصالحة والزوج غير الصالح، فضلاً عن العلاقة بينهما مع الأبناء، أو الأبناء فيما بينهم، ولكن تبقى الأبوة في القرآن لها مقامها العظيم، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ بَعْدِيْ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ﴾(البقرة/١٣٣)، فعلى الرغم مما فعل أبناء يعقوب بأبيهم، ولكن يصوِّر القرآن لنا مدى العلاقة الوثيقة للأبوة تجاه أبنائه في الحفاظ عليهم من الضلال والانحراف .. وعلى المسلمين أنْ يتعاهدوا القرآن وما ورد فيه من منهج تربوي لتحقيق السعادة لهم وسط أنظمة مقابلة للقرآن تحاول بأي صورة أنْ تفكك تلك الأواصر الأسرية والاجتماعية، وتعبث بالمبادىء والمُثُل والأخلاق.

الشيخ عماد الكاظمي

الإمام الجواد عليه السلام

وآثاره في تفسير القرآن الكريم

-٦-

تحدثنا في الحلقة السابقة عن قوله تعالى: ﴿وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوْا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[1]، وتم بيان ما يتعلق بها من حيث المراد من الخيط الأبيض والأسود وعلاقة ذلك ببداية وقت الصوم وانتهائه، ومحاولة دراسة الآية الكريمة بإيجاز ضمن الرواية التفسيرية للإمام محمد الجواد عليه السلام، وفي هذه الحلقة نحاول بيان رواية تفسيرية لها علاقة بالتوحيد في العقيدة الإسلامية.

١- سورة البقرة: الآية ١٨٧.

الآية السابعة

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾[2].

* روي عن داود بن القاسم الجعفري[3]، قال: ((قُلْتُ لِأَبِيْ جَعْفَرٍ الثَّانِيْ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ! مَا (الصَّمَدُ)؟

قَالَ: السَّيِّدُ الْمَصْمُوْدُ إِلَيْهِ فِي الْقَلِيْلِ وَالْكَثِيْرِ))[4].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيِّن مسألة مهمة تتعلق بالأصل الأول من أصول العقيدة وهو التوحيد وما فيه من مسائل جوهرية، ولأجل أنْ نكون على بينة مما ورد في الرواية الشريفة وما تضمنته نحاول بيان موضوعين بإيجاز:

الأول: المراد من التوحيد وما يتعلق به.

الثاني: أقوال المفسرين في الآية المباركة.

الأول: التوحيد وما يتعلق به

يعد البحث في العقيدة من أهم البحوث العقائدية في الديانات كلها، والمذاهب الإسلامية أيضًا، والشريعة الإسلامية قد اعتنت بمباحث التوحيد كثيرًا، من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، فضلاً عن المؤلفات الكلامية الكثيرة في هذا الباب منذ القرن الأول إلى يومنا على اختلاف المذاهب الإسلامية، فلا بد من البحث فيه من خلال بيان توحيد الذات، والصفات، والأفعال، العبودية؛ ليكون المؤمن على بينة تامة أو مجملة عن معبوده، ومعرفة ما يليق به من صفات ثبوتية جمالية، عمَّا لا يليق به من صفات سلبية جلالية، وقد أشار أمير المؤمنين إلى أهمية هذه المعرفة التي هي أساس الدين وآثارها على الإنسان، فقال عليه السلام في خطبة له: ((أَوَّلُ الدِّيْنِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيْقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيْقِ بِهِ تَوْحِيْدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيْدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوْفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوْفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ فِيْمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ ....))[5].

وفيما يتعلق بتعريف (الصمد) فقد ورد فيه تعريفات متعدد، منها:

■ **قال الراغب الإصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م):** ((الصَّمْدُ السَّيِّدُ الَّذِيْ يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْأَمْرِ، وَصَمَدَ صَمَدَهُ قَصَدَ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ قَصْدُهُ، وَقِيْلَ: الصَّمَدُ الَّذِيْ لَيْسَ بِأَجْوَفَ، وَالَّذِيْ لَيْسَ بِأَجْوَفَ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا لِكَوْنِهِ أَدْوَنَ مِنَ الْإِنْسَانِ كَالْجَمَادَاتِ، وَالثَّانِيْ أَعْلَى مِنْهُ وَهُوَ الْبَارِيْ وَالْمَلَائِكَةُ، وَالْقَصْدُ بِقَوْلِهِ: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ تَنْبِيْهًا أَنَّهُ بِخِلَافِ مَنْ أَثْبَتُوْا لَهُ الْإِلَهِيَّةَ))[6].

إنَّ الراغب الإصفهاني قد ذكر الأقوال الواردة في معنى (الصمد)، وأشار في واحد منها إلى ما ورد في الرواية التفسيرية، وهو قوله (السَّيِّدُ الَّذِيْ يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْأَمْرِ)، فالأمر يمكن أنْ ينطبق على القليل والكثير الوارد في الرواية، فمن ذلك يمكن معرفة أنَّ جواب الإمام الجواد عليه السلام كان موافقًا للمعاني الواردة عند العرب في بيان المراد من (الصمد).

■ **قال الشيخ الطريحي (ت١٠٨٥/١٦٧٤م):** ((قِيْلَ: الصَّمَدُ الَّذِيْ انْتَهَى إِلَيْهِ السُّؤْدَدُ. وَقِيْلَ: هُوَ الدَّائِمُ الْبَاقِيْ. وَقِيْلَ هُوَ الَّذِيْ يُصْمَدُ فِي الْحَوَائِجِ أَيْ يُقْصَدُ. قَالَ بَعْضُ الْأَعْلَامِ: اخْتَلَفَ أَقَاوِيْلُ أَهْلِ التَّفْسِيْرِ فِيْ بَيَانِ الصَّمَدِ، وَأَوْلَى تِلْكَ بِالتَّقْدِيْمِ مَا وَافَقَ أُصُوْلَ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَاشْتُهِرَ بَيْنَ أَهْلِ اللِّسَانِ أَنَّ الصَّمَدَ السَّيِّدُ الْمُتَفَوِّقُ فِيْ السُّؤْدَدِ، الَّذِيْ يَصْمَدُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِيْ حَوَائِجِهِمْ وَأُمُوْرِهِمْ. وَفِيْ الْحَدِيْثِ "الصَّمَدُ الْمَصْمُوْدُ إِلَيْهِ فِي الْقَلِيْلِ وَالْكَثِيْرِ".... وَاللهُ هُوَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِيْ جَمْعُ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ يَصْمُدُوْنَ فِي الْحَوَائِجِ وَيَلْجَؤُوْنَ إِلَيْهِ فِيْ الشَّدَائِدِ، وَمِنْهُ يَرْجُوْنَ الرَّخَاءَ وَدَوَامَ النِّعْمَةِ وَالرَّفْعَ عَنِ الشَّدَائِدِ. وَالصَّمَدُ: الْقَصْدُ، يُقَالُ صَمَدَهُ يَصْمِدُهُ صَمْدًا: قَصَدَهُ . وَمِنْهُ الدُّعَاءُ "اللَّهُمَّ إِلَيْكَ صَمَدْتُ مِنْ بَلَدِيْ"))[7].

إنَّ الشيخ الطريحي ذكر أغلب المعاني الواردة عند الأعلام في بيان المراد من (الصمد)، والتي يوافق بعضها الروايات الواردة في بيان ذلك، بل ذكر نص الرواية التفسيرية التي أشارت إلى المصمود إليه، وإجمالاً فهو يدل على معنًى من معاني الكمال الواردة في صفات الإله المعبود، وهذا ما ذكره العلامة المطفوي (ت١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) بعد بيان الأقوال في معناه بقوله: ((فَالصَّمَدُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَهُوَ مَنْ يَكُوْنُ لَهُ مَقَامٌ رَفِيْعٌ فَوْقَ جَمِيْعِ الْمَقَامَاتِ، يَخْضَعُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ كُلُّ مَوْجُوْدٍ، وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْجَمِيْعُ، وَيُقْصَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ))[8].

ومما قال الشيخ المازندراني (ت١٠٨١هـ/١٦٧١م) في شرحه للرواية: ((وَأَشَارَ بِذِكْرِ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ إِلَى أَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِيْ مَفْهُوْمِ الصَّمَدِ هُوَ كَوْنَهُ مَرْجُوْعًا إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا قَلِيْلِهَا وَكَثِيْرِهَا، حَقِيْرِهَا وَكَبِيْرِهَا؛ لِلتَّنْبِيْهِ عَلَى أَنَّ الْأَحَقَّ بِهَذَا الاسْمِ هُوَ الْحَقُّ الْغَنِيُّ عَنِ الْغَيْرِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَأَنَّ إِطْلَاقَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى سَبِيْلِ التَّجَوُّزِ وَالْإِضَافَةِ؛ إِذْ كُلُّ سَيِّدٍ سِوَاهُ فَهُوَ فِيْ رِبْقَةِ الْحَاجَةِ إِلَى الْغَيْرِ فَلَيْسَ مَصْمُوْدًا إِلَيْهِ فِي الْجَمِيْعِ))[9].

وعلى أساس ما تقدم من التعريفين للمراد من لفظ (الصمد) نرى أنَّ التطابق بيان ما ذكر في الرواية التفسيرية وما ورد من كلمات العلماء لبيان حقيقة هذا اللفظ العظيم الوارد في بيان واحدة من صفات الله تعالى الدالة على حقيقة المعبود، وما يجب أنْ تتوافر فيه من صفات خاصة لا يشاركه فيه أحد من المخلوقين.

الثاني: أقوال المفسرين

إنَّ المفسرين قد ذكروا فيما يتعلق بالآية المباركة أقوال متعددة، نذكر منها:

١- **قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م):** ((وقوله: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ معناهُ الذي تحقُّ لَهُ العبادةُ، هُوَ الموصوفُ بأنَّهُ (الصمد).

٢- سورة الإخلاص: الآيتان ١-٢.

٣- أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، شريف القدر، ثقة، من أهل بغداد، جليل القدر، عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، وقد شاهد جماعة منهم الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر عليهم السلام، وروى عنهم كلهم، وله أخبار ومسائل، وشعر جيد فيهم. ينظر: معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي ٨/١٢٣.

٤- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ١/١٢٣.

٥- نهج البلاغة، الشريف الرضي ١/١٥.

٦- مفردات غريب القرآن، ص٢٨٦ (صمد).

٧- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي ٢/٦٣٤ (صمد).

٨- التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٦/٣٣٩.

٩- شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح ٤/٦٠.

<<<

وقيل: في معناهُ قولانِ: أحدهما: قالَ ابنُ عباسٍ وشقيقٌ وأبو وائلٍ: إنَّهُ السيِّدُ المعظَّمُ .... الثاني: إنَّ معناهُ الذي يصمدُ إليهِ في الحوائجِ، ليسَ فوقَهُ أحدٌ، يقالُ: صمدتُ إليهِ أصمدُ إذا قصدتُ إليهِ، إلا أنَّ في الصفةِ معنى التعظيمِ كيفَ تصرفتِ الحالُ))[10].

إنَّ الشيخ في بيانه للآية الكريمة يؤكد على أهم ما ورد من معانٍ لهذه الصفة التي يجب أنْ يكون المعبود عليها، وفي كُلِّ الأحوال والأقوال فإنَّ المعاني المتكثرة له توحي إلى مقامه وعظمته التي تليق به سبحانه.

٢- قال الفخر الرازي (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) بتفصيلٍ في بيان ذلك: ((فيهِ مسائلُ: المسألةُ الأولى: ذكروا في تفسيرِ ﴿الصَّمَدُ﴾ وجهينِ، الأول: إنَّهُ فعلٌ بمعنى مفعولٍ، من صمدَ إليهِ إذا قصدَهُ، وهو السيِّدُ المصمودُ إليهِ في الحوائجِ .... والدليلُ على صحةِ هذا التفسيرِ ما روى ابنُ عباسٍ: "إنَّهُ لَمَّا نزلتْ هذهِ الآيةُ قالوا: ما الصمدُ؟ قال "عليه السلام": هو السيِّدُ الذي يصمدُ إليهِ في الحوائجِ" وقالَ الليثُ: صمدتُ صمدَ هذا الأمرُ، أي قصدتُ قصدَهُ. والقول الثاني: إنَّ الصمدَ هو الذي لا جوفَ له، ومنه يقالُ لسدادِ القارورةِ الصِّمَادُ، وشيءٌ مصمدٌ أي صلبٌ ليسَ فيهِ رخاوةٌ .... واعلمْ أنَّهُ قد استدلَّ قومٌ من جُهَّالِ المشبِّهَةِ بهذهِ الآيةِ في أنَّهُ تعالى جسمٌ، وهذا باطلٌ؛ لأنَّا بَيَّنَّا أنَّ كونَهُ أحدًا ينافي جسمًا، فمقدمةُ هذا الآيةِ دالةٌ على أنَّهُ لا يمكنُ أنْ يكونَ المرادُ مِنَ الصمدِ هذا المعنى؛ ولأنَّ الصمدَ بهذا التفسيرِ صفةُ الأجسامِ المتضاغطةِ، وتعالى اللهُ عن ذلكَ، فإذنْ يجبُ أنْ يحملَ ذلكَ على مجازهِ؛ وذلكَ لأنَّ الجسمَ الذي يكونُ كذلكَ يكونُ عديمَ الانفعالِ والتأثُّرِ عن الغيرِ، وذلكَ إشارةٌ إلى كونِهِ سبحانَهُ واجبًا لذاتِهِ، ممتنعَ التغيُّرِ في وجودِهِ وبقائِهِ وجميعِ صفاتِهِ، فهذا ما يتعلقُ بالبحثِ اللغويِّ في هذهِ الآيةِ، وأمَّا المفسرونَ فقد نقلَ عنهم وجوهٌ، بعضُها يليقُ بالوجهِ الأولِ وهو كونَهُ تعالى سيِّدًا مرجوعًا إليهِ في دفعِ الحاجاتِ، وهو إشارةٌ إلى الصفاتِ الإضافيَّةِ، وبعضُها بالوجهِ الثاني وهو كونَهُ تعالى واجبَ الوجودِ في ذاتِهِ وفي صفاتِهِ[11] ممتنعَ التغيُّرِ فيهما، وهو إشارةٌ إلى الصفاتِ السلبيَّةِ، وتارةً يفسرونَ الصمدَ بما يكون جامعًا للوجهينِ))[12].

إنَّ الرازي يحاول التأكيد على أنَّ هذه الصفة للباري لها علاقة وثيقة بتنزيهه تعالى عن الجسمية وما يتعلق بها من صفات المخلوقين، ثم يستعرض -كما هو حاله في تفسيره- جميع أو أغلب الأقوال التي يمكن إيرادها في المسألة، مع مناقشتها تارة، ومجرد عرضها تارة أخرى، وإنْ كان قد ذكر مسألة عقائدية مهمة فيما يتعلق بالصفات الإضافية على ذاته على ما يؤمن به، والمسألة فيها نقاش عميق بين الأعلام، ورأي علماء الإمامية أنَّ صفاته عين ذاته لا زائدة عليه.

ثم بيَّن الرازي أهمية الآية الكريمة في الاستدلال على وحدانيته ونفي كُلِّ ما لا يليق به، بما يوافق الرواية التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام فقال: ((المسألة الثانية: قوله: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ يقتضي أنْ لا يكونَ في الوجودِ صمدٌ سوى الله، وإذا كانَ الصمدُ مفسَّرًا بالمصمودِ إليهِ في الحوائجِ، أو بما لا يقبلُ التغيُّرَ في ذاتِه لزمَ أنْ لا يكونَ في الوجودِ موجودٌ هكذا سوى الله تعالى، فهذهِ الآيةُ تدلُّ على أنَّهُ لا إلهَ سوى الواحد، فقوله: ﴿اللهُ أَحَدٌ﴾ إشارةٌ إلى كونِهِ واحدًا، بمعنى أنَّهُ ليسَ في ذاتِهِ تركيبٌ، ولا تأليفٌ بوجهٍ من الوجوهِ، وقوله: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ إشارةٌ إلى كونِهِ واحدًا، بمعنى نفيِ الشركاءِ والأندادِ والأضدادِ))[13].

٣- قال السيد الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م): ((الأصلُ في معنى الصمدِ القصدُ، أو القصدُ مع الاعتمادِ، يقال: صمدَهُ يصمدُهُ صمدًا من بابِ نَصَرَ، أي قصدَهُ، أو قصدَهُ معتمدًا عليهِ، وقد فَسَّروا الصمدَ -وهو صفة- بمعاني متعددةٍ، مرجعُ أكثرِها إلى أنَّهُ السيِّدُ المصمودُ إليهِ، أي المقصودُ في الحوائجِ، وإذا أطلقَ في الآيةِ ولم يقيَّدْ بقيدٍ فهوَ المقصودُ في الحوائجِ على الإطلاقِ.

وإذا كانَ اللهُ تعالى هو الموجِدُ لكُلِّ ذي وجودٍ، مما سواهُ يحتاجُ إليهِ فيقصدُهُ كُلُّ ما صدقَ عليهِ أنَّهُ شيءٌ غيرُهُ، في ذاتِهِ، وصفاتِهِ، وآثارِهِ، قالَ تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[14]، وقال وأطلق: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[15] فهو الصمدُ في كُلِّ حاجةٍ في الوجودِ، لا يقصدُ شيئًا إلا وهو الذي ينتهي إليهِ قصدُهُ، وينجحُ به طلبتُهُ، ويقضي به حاجتُهُ.

ومن هنا يظهرُ وجهَ دخولِ اللامِ في الصمدِ، وأنَّهُ لإفادةِ الحصرِ، فهو تعالى وحدهُ الصمدُ على الإطلاقِ، وهذا بخلافِ أحدٍ في قوله ﴿اللهُ أَحَدٌ﴾ فإنَّ أحدًا بما يفيدُهُ من معنى الوحدةِ الخاصةِ لا يطلقُ في الإثباتِ على غيرهِ تعالى، فلا حاجةَ فيهِ إلى عهدٍ أو حصرٍ.... والآيتانِ مع ذلكَ تصفانهُ تعالى بصفةِ الذاتِ وصفةِ الفعلِ جميعًا، فقوله: ﴿اللهُ أَحَدٌ﴾ يصفهُ بالأحديَّةِ التي هي عينُ الذاتِ، وقوله: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ يصفهُ بانتهاءِ كُلِّ شيءٍ إليهِ، وهو من صفاتِ الفعلِ))[16].

إنَّ السيد الطباطبائي في بيانه لهذه الصفة يذكر ما ورد من كلمات العلماء اللغويين في معنى (الصمد)، للإفادة من ذلك في معرفة المراد من هذا المصطلح، ومدى موافقته مع الروايات الواردة في بيان معانيه، وكان أكثر المعاني ملاءمة هو ما ورد في الرواية التفسيرية، فقد ذكر بعد تفسير السورة المباركة ما ورد من روايات متعددة وردت عن الأئمة عليهم السلام في تفسير (الصمد) ورواية الإمام الجواد عليه السلام المتقدمة فقال: ((أقولُ: وفي تفسيرِ الصمدِ معانٍ أُخَر مرويةٌ عنهم عليهم السلام ..... والأصلُ في معنى الصمدِ هو الذي رويناهُ عن أبي جعفرٍ الثاني عليه السلام؛ لِمَا في مادتهِ لغةً في معنى القصدِ، فالمعاني المختلفةُ المنقولةُ عنهم عليهم السلام من التفسيرِ يلازمُ المعنى، فإنَّ المعاني المذكورةَ لوازمُ كونَهُ تعالى مقصودًا، يرجعُ إليهِ كُلُّ شيءٍ في كُلِّ حاجةٍ، فإليهِ ينتهي الكُلُّ من دونِ أنْ تتحققَ فيهِ حاجةٌ))[17].

من خلال ما تقدم تكون الرواية التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام واضحة البيان والبرهان على بيان المراد من تفسير (الصمد)، وعلاقة ذلك بإثبات وحدانية الله تعالى، وأنَّ كُلَّ ما ورد من أقوال المفسرين يؤكد ذلك، وفي هذا ظهور الاتفاق التام في منهج الثقلين -القرآن والعترة- وإلى لقاء قادم مع رواية تفسيرية أخرى.

١٠- التبيان في تفسير القرآن ١٠/٤٣٠-٤٣١.

١١- يقسم علماء الكلام الوجود (الذهني) على أقسام ثلاثة، واجب الوجود، وممكن الوجود، وممتنع الوجود، ويطلق واجب الوجود على الله تعالى وهو مصدر الوجود لكل الموجودات، المستغني في وجوده عن المؤثر، والممكن هو الموجود بغيره. للتفصيل ينظر: مناهج اليقين في أصول الدين، العلامة الحسن بن يوسف الحلي ص٤٧.

١٢- التفسير الكبير ٣٢/١٦٥. ثم يذكر الرازي ثمانية وجوه للنوع الأول وهو كونَهُ تعالى سيِّدًا مرجوعًا إليهِ في دفعِ الحاجاتِ، وذكر ثمانية عشر وجهًا للنوع الثاني وهو كونَهُ تعالى واجبَ الوجودِ في ذاتِهِ وفي صفاتِهِ، ثم ذكر ما يتعلق بالوجه الثالث وهو كونه جامعًا للوجهينِ. ينظر: المصدر نفسه ١٣/١٦٥-١٦٦.

١٣- المصدر نفسه ٣٢/١٦٦.

١٤- سورة الأعراف: الآية٥٤.

١٥- سورة النجم: الآية٤٢.

١٦- الميزان في تفسير القرآن ٢٠/٣٨٨.

١٧- المصدر نفسه ٢٠/٣٩١.

وإنك لعلى خلق عظيم

قراءة بلاغية تربوية

-١-

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[١]

إنَّ في الآية المباركة قراءات بلاغية وتربوية يمكن بيانها إجمالاً بما يأتي:

١- إنَّ الآية الشريفة جاءت ضمن آيات جواب القسم التي أقسم الله بها: ﴿ن * وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، والقسم بطبيعة الحال يدل على أمر عظيم يريد الله تعالى بيانه، وفي ذلك كمال التعظيم والتوكيد على خُلُقِه الكريم.

٢- ابتدأت الآية الشريفة بإسلوب من أساليب التوكيد باستعمال الحرف (إنَّ) والذي يفيد التوكيد، كما ذكر النحاة، والتوكيد لا يستعمل إلا في حالات منها: أنْ يكونَ المخاطَبُ مُتَرَدِّدًا في الحُكْم، أو أنْ يكونَ مُنْكِرًا للحُكْمِ، كما ذكر البلاغيون.

٣- إنَّ الخطاب في الجملة الاسمية آكَدُ من الخطاب في الجملة الفعلية، وقد وردت الآية المباركة بالجملة الاسمية فاستبدل أسمه الشريف (محمد) بضمير المخاطب (ك)، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

٤- إنَّ التوكيد لبيان عظمة الإخبار يكون آكد في الجملة الإسمية كما تقدم بصورة عامة، ويزداد توكيدًا مع الحرف (إنَّ)، ويكثر زيادة بهما أي (الجملة الاسمية + إنَّ)، ويزداد التوكيد أكثر بالثلاثة مجتمعة (الجملة الاسمية + إنَّ + اللام في الخبر) مع (اللام) كما في قوله: ﴿لَعَلَى﴾، وكُلُّها قد توافرت في الآية الشريفة.

٥- لقد ذكر العلماء أنَّ التوكيد قد يستعمل لأنَّ المخاطَب متردِّدٌ في الحُكْمِ، أو مُنْكِرٌ للحُكْمِ، أو يستعمل لشرفِ الحُكْمِ وتقويتِهِ أيضًا، وفي أسلوب الآية المباركة قد تحققت الأمور الثلاثة:

أ- المترددون قد رفع الله ترددهم في أنه صادق بدعوته.

ب- المنكرون قد دفع الله إنكارهم للدعوة.

ج- المؤمنون قَوَّى الله إيمانهم وتصديقهم بمقام رسول الله ﷺ، وبيان شرفه ومقامه.

٦- إنَّ التنكير (أي الاسم النكرة) يكون أستعماله لموارد شتى منها التعظيم أو التكثير وغيرهما على وفق القرينة المصاحبة له، وقد ورد لفظ ﴿خُلُقٍ﴾ نكرة، لكنه تم بيان المراد بها بوصفه ﴿عَظِيمٍ﴾، فورد بإحدى صيغ المبالغة على وزن (فعيل)، وفي ذلك بيان عظمة ذلك الخلق الذي عليه النبي ﷺ.

٧- إنَّ الخُلُقَ العظيمَ هو الخُلُقُ الأكرمُ في نوعِ الأخلاقِ وهو البالغُ أشَدَّ الكمالِ المحمودِ في طَبْعِ الإنسان، لاجتماعِ مكارمِ الأخلاقِ في النبي ﷺ، فالخُلُقُ العظيمُ أرفعُ من مطلقِ الخُلُقِ الحَسَنِ؛ ولذا ورد عنه ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))[٢]، فجعلَ أصلَ شريعتهِ إكمالَ ما يحتاجهُ البشرُ من مكارمِ الأخلاقِ في نفوسهمْ، ولا شكَّ أنَّ الرسولَ أكبرُ مظهَرٍ لما في شرعِهِ، وبهذا يزدادُ وضوحًا معنى التَّمكُّنِ الذي أفادهُ حرفُ الاستعلاءِ في قولهِ ﴿لَعَلَى﴾ فهو مُتَمَكِّنٌ منهُ الخُلُقُ العظيمُ في نفسهِ، ومُتَمَكِّنٌ منهُ في دعوتِهِ الدينيةِ.

٨- إنَّ الدين يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويجب على المؤمنين أنْ يكونوا كذلك، وآثار تلك المكارم محمودة حسنة في الآخرة فضلاً عن الدنيا، ففي الحديث عن النبي ﷺ: ((مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيْزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ))[٣]، وفي حديث آخر: ((عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ فِي الْجَنَّةِ لَا مَحَالَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَسُوْءَ الْخُلُقِ فَإِنَّ سُوْءَ الْخُلُقِ فِيْ النَّارِ لَا مَحَالَةَ))[٤].

إنَّ هذه الوقفة القصيرة مع الآية المباركة تدعو إلى التأمل في كتاب الله تعالى، والتزود منه للدنيا والآخرة.

١- سورة القلم: الآية٤.

٢- ميزان الحكمة، محمد الريشهري ٣/ ١٠٨١.

٣- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي ٦٨/ ٣٨٣.

٤- المصدر نفسه.

فصول من كتاب: القرآن والعلم الحديث
(The Quran and Modern Science)

علم الأجنة

هناك كم هائل من البيانات في القرآن الكريم في موضوع تكاثر الإنسان الذي يشكل تحدياً للمتخصص في علم الأجنة تنتظر تفسيراً بشرياً لها

الحلقة الثالثة

تأليف: د. موريس بوكاي

ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

إذ لم يتمكن الإنسان من فهم عمق تلك البيانات القرآنية إلا بعد ولادة العلوم الأساسية التي أسهمت في زيادة معرفتنا بعلم الأحياء واختراع المجهر. فقد كان متعذراً على الإنسان الذي عاش في القرن السابع أنْ يعبّر عن تلك الأفكار بشكل دقيق. وليس هناك ما يشير إلى أنَّ الأقوام التي عاشت في الشرق الأوسط والمنطقة العربية كانت تعرف عن هذا الموضوع أكثر ممن عاش في أوربا أو أي مكان آخر. أما اليوم فهناك الكثير من المسلمين ممن له معرفة شاملة بالقرآن والعلوم الطبيعية وأدرك الشبه المذهل الموجود بين آيات القرآن التي تتناول مسألة التكاثر والمعارف العلمية المعاصرة.

سأتذكر دائماً التعليق الذي أفاد به مسلم في الثامنة عشرة من عمره نشأ في العربية السعودية وهو يشير إلى تكاثر الإنسان مثلما يصفه القرآن الكريم. أشار إلى القرآن الكريم فقال: "هذا الكتاب يقدم لنا كل المعلومات الأساسية عن الموضوع. وعندما كنت في المدرسة كان أساتذتي يستعينون بالقرآن لشرح الكيفية التي يولد بها الأطفال. فكتبكم الخاصة بثقافة التناسل جاءت متاخرة إلى الساحة!"

لو تحتم عليَّ أنْ أقضي مدة طويلة مثلما يستحقها الموضوع بحثاً في تفاصيل عملية التكاثر كما يبحثها القرآن الكريم، لأصبح هذا الكرَّاس كتاباً. إنَّ البيانات اللغوية والعلمية المفصّلة التي قدمتها في كتاب (الإنجيل والقرآن والعلم) كافية لمن لا يتحدث العربية وليست له معرفة بعلم الأجنة لتمكنه من التعمق في فهم معاني تلك الآيات في ضوء العلم الحديث.

ففي مجال علم الأجنة بالذات تصيبنا المقارنة بين العقائد الموجودة وقت نزول وحي القرآن والبيانات العلمية المعاصرة بالدهشة من درجة التطابق بين البيانات القرآنية والمعرفة العلمية الحديثة. ناهيك عن الغياب التام لأي إشارة في القرآن إلى الأفكار المغلوطة التي كانت سائدة في العالم في ذلك الوقت.

الإخصاب

لنقم الآن بفرز الأفكار الدقيقة من جميع تلك الآيات، التي تبحث شدة تعقيد السائل المنوي وحقيقة أنَّ تحقق الإخصاب يستلزمه كمية منه متناهية في الصغر. في سورة الإنسان، يقول القرآن الكريم:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[1]

لقد فُسِّرت الكلمة (نطفة) على أنها (كمية صغيرة). وتتضمن الآية فكرة صحيحة بأنّ الخصوبة لا يستلزم تحققها بأكثر من مقدار صغير جداً من السائل.

١- سورة الإنسان: الآية ٢.

من جانب آخر، فهم المفسرون الأقدمون على أنَّ كلمة (الأمشاج) تشير إلى خليط الإفرازات الذكرية والأنثوية. أما الكُتَّاب المعاصرون فقد صحّحوا هذا الفكرة وأشاروا إلى أنَّ الحيمن يتكون من عناصر متنوعة.

وعندما يتحدث القرآن الكريم عن سائل مخصَّب متكون من عناصر مختلفة، فهو يريد إعلامنا أنَّ نسل الإنسان يتشكل من شيء مستخلص من هذا السائل. وهذا هو معنى الآية التالية من سورة السجدة:

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾[٢]

فأيّاً كانت تعني، فهي تشير إلى جزء من كل. في الحالات الطبيعية، هنالك خلية واحدة فقط، أي حيوان منوي واحد من بين ٥٠ مليون يقذفها الرجل أثناء عملية الجماع، هي التي تخترق البويضة بالفعل.

الانغراس

وما إنْ تتخصب البيضة في قناة فالوب، فستنزل لتستقر داخل الرحم. وتسمى العملية بانغراس البيضة. والانغراس هو نتيجة نمو الزغب الذي يقوم بسحب الغذاء -مثله مثل الجذور في التربة- من جدار الرحم ويجعل البيضة تعلق بالرحم حقيقة. لقد وصفت عدة آيات عملية الانغراس بشكل مناسب حين استخدمت الكلمة (علق) التي صارت أيضاً عنوان إحدى السور التي وردت فيها إحدى الآيات:

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[٣]

الجنين

لقد وصف القرآن الكريم تطور الجنين داخل رحم الأم وصفاً موجزاً، لكنه وصف دقيق، لأنَّ الكلمات البسيطة التي تشير إلى ذلك تتفق تماماً مع المراحل الأساسية لنموه. إليك ما نقرأه في آية من آيات سورة (المؤمنون):

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾[٤].

إنَّ مصطلح (مضغة) التي تعني (اللحمة الممضوغة) يوافق بدقّة مظهر الجنين في مرحلة من مراحل نموه.

ومن المعلوم أنَّ العظام تنمو داخل هذه الكتلة ثم تكتسي بالعضلات. والعضلات هي اللحم المذكور هنا.

ويمر الجنين في مرحلة تكون بعض أجزائه تام الخلقة وبعضها غير تام الخلقة نسبة لما سيكون عليه وضعه بعد أنْ يصبح إنساناً. وهذا المعنى نجده واضحاً في آية في سورة الحج التي تقول:

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[٥].

بعد ذلك لدينا إشارة إلى ظهور الحواس والأعضاء الداخلية في سورة السجدة:

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾[٦].

لا شيء مما ورد هنا يتقاطع مع بيانات العصر الحاضر؛ بل أكثر من ذلك، لا نجد واحدة من الأفكار المغلوطة في ذلك العصر قد تسللت إلى القرآن الكريم. لقد عاشت العصور الوسطى مختلف المعتقدات الخاصة بنمو الإنسان بُنيت على الأساطير وضروب التخمين وبقيت سائدة قروناً عدة بعد تلك العصور. إنَّ أقوى المراحل من حيث الأساس في تاريخ علم الأجنة جاءت إلينا في عام ١٦٥١ ببيان هارفي الذي قال: (كل الحياة تأتي مبدئياً من بيضة). في ذلك الوقت، وحتى بعدما استفاد العلم كثيراً من اختراع المجهر، بقي الناس في جدل عن الأدوار الخاصة بالبيضة والحيمن. وقد كان (بوفون) عالم الطبيعة الكبير، أحد الذين دعموا نظرية البيضة.أما (بونيت) فقد كان يدعم نظرية (بيوض حواء)، التي تقول لا بد أنَّ حواء، أمّ الجنس البشري، كان تحمل في داخل جسمها بذور البشر أجمعين معبأة الواحدة داخل الأخرى.

٢- سورة السجدة: الآية ٨.
٣- سورة العلق: الآية ٢.
٤- سورة المؤمنون: الآية ١٤.
٥- سورة الحج: الآية ٥.
٦- سورة السجدة: الآية ٩.

المصدر: https://www.whyislam.org/on-faith/the-quran-and-modern-science-3/

الخوف والرجاء برؤية قرآنية

غفران كامل كريم

كما هو معروف إنَّ الإسلام دين شامل وعقيدة متكاملة، وهو بحق نظام للحياة الحُرَّة الكريمة، لذلك كان من الطبيعي أنْ تنبثق من هذا الدين العظيم جملة من المبادئ الحكيمة التي تصوغ للإنسان المؤمن شخصية متوازنة في معالمها، يزدحم فيها كَمٌّ هائل من الشمائل ومحاسن الأخلاق، وعلى نسق متعادل لا تطغى صفة على صفة، ولا توظف صفة في موقف لا تحتاجه.

لقد تحدث القرآن الكريم في أكثر من موضع على صفتين متلازمتين نوعاً ما وأراد من الناس التحلي بها، ألا وهما الخوف والرجاء، فالخير للمؤمن أنْ يكون بين الخوف الذي لا يصده عن التقصير والقنوط، وبين الرجاء الذي يبعث في نفسه التفاؤل، ويحثه على تشمير ساعد العمل، وقبل الحديث عن التوظيف القرآني لتلك الصفتين، نحاول بيان مدلولهما، فالمقصود بالخوف هو الفزع، ومنه التخويف والإخافة، وخوف الرجل إذا جعل فيه الخوف، وخوَّفته إذا جعلته بحالة يخاف معها الناس. والرجاء قد يعني الخوف، والرجاء أيضاً من الأمل، ضد اليأس[1].

فالخوف هو الهيبة أو الخشية أو الوجل من وقوع مكروه أو ضرر ما، أما الرجاء فهو توقع حصول الشيء الحسن لا القبيح وهو الوجه الأخر لمفهوم الأمل.

فالخوف من عقاب الله تعالى والطمع والرغبة في رحمته الواسعة ورجاء مغفرته ورضوانه هي أخلاق إلهية، ونوع من أنواع العبادة يؤجر ويثاب عليها الإنسان.

وهناك آيات قرآنية كثيرة تناولت الحديث عن الخوف والرجاء منها:

١- لسان العرب، محمد بن منظور، ج٩، ص٩٩وج١٤، ص٣١٩.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣].

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٤].

﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥].

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٦].

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٧].

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٨].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[٩].

ثمرات الخوف والرجاء

إنَّ من الخوف الممدوح هو الخوف من ارتكاب الذنوب والمعاصي، والخوف من التقصير في العبادة ومجمل الحقوق الإلهية المناطة بنا، وهذا الخوف يعتمد على مدى معرفة الله سبحانه وتعالى، فأخوف الناس أعرفهم بربه، وكما جاء في قول الرسول الأكرم ﷺ: (من كان باللّه أعرف كان من اللّه أخوف)[١٠].

وقد مدح اللّه عز وجل أهل الخوف بآيات عدة منها:

(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)[١١].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[١٢].

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[١٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١٤].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[١٥].

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[١٦].

وعليه نقول: إنَّ الأولى بالإنسان المؤمن أنْ يكون في حياته متوازن، يسلك بنفسه طريقاً معتدلاً بين الخوف والرجاء، فلا يعيش في قوقعة الخوف السرمدي الدائم فيغدو بائساً ويائساً هذا من جانب، ومن جانب آخر لا يمكن أنْ يثق بعمله ثقة تامة عمياء، فيفرط في مسألة الرجاء حتى يكوِّن يصدر منه التقصير والتفريط فتصبح على قلبه وبصيرته غشاوة، فالأمر لا هذا ولا ذاك، بل عليه أنْ يكون أميناً على نفسه فيسير بها بشكل متوازن فلا إفراط ولا تفريط، ويتذكر قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ﴾[١٧].

إنَّ الاعتماد على الخوف فقط هو يأس من رحمة الله ولطفه بعباده، وهو وجه من أوجه القنوط، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾[١٨]، وأيضاً حذّر سبحانه عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[١٩]، كذلك لا يجوز الاتكاء على الرجاء والتغاضي عن مكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٢٠]، فالإنسان المتوازن يجمع بين الاثنين، فلا يغلب خوفه على رجائه ولا العكس بالعكس، فالحكمة تكمن في المزج والخلط بين الأمرين فلا إفراط ولا تفريط، وكما جاء على لسان رسول الله ﷺ: (أيها الناس إنَّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإنَّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم إلا إنَّ المؤمن يعمل بين مخافتين بين أجلٍ قد مضى لا يدرى ما اللّه صانع فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما اللّه قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشيبة قبل الكبر، وفي الحياة قبل الممات، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب، وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار)[٢١]، وأيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع اللّه فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلا خائفًا، ولا يصلحه إلا الخوف)[٢٢].

فالإنسان العاقل يجمع بين الخوف والرجاء حتى يستقيم أمره، وتسعد حياته، ويفوز في آخرته، فيكون رجاؤه لرحمة الله بعمل ومثابرة وجد واجتهاد، فالأمر ليس بالتمني بل بالتحلي، جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: (لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل)[٢٣].

من هنا نجد أنَّ الرجاء لا يصلح إلا بعمل دؤوب، ومن الخطأ والخطورة الاعتماد على الرجاء والتعويل على رحمة اللّه تعالى بمعزل عن العمل، مع كثرة اقتراف المعاصي والتمادي في المحرمات والتجاوز على الأوامر الإلهية، فهذا ليس من الرجاء في شيء، بل هو الحمق بعينه، فالرحمة الإلهية تطال العاملين لا المعاندين.

٢- سورة الحشر: الآية ٢١.
٣- سورة العنكبوت: الآية٥.
٤- سورة السجدة: الآية١٦.
٥- سورة الأعراف: الآية٥٦.
٦- سورة آل عمران: الآية١٧٥.
٧- سورة الزمر: الآية٥٣.
٨- سورة الفرقان: الآية٧٠.
٩- سورة الزمر: الآية٩.
١٠- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج٦٧، ص٣٩٣.
١١- سورة المؤمنون: الآية٦٠.
١٢- سورة فاطر: الآية ٢٨.
١٣- سورة النازعات الآيتان٤٠ - ٤١
١٤- سورة الأحقاف: الآية ١٣.
١٥- سورة الرحمن: الآية ٤٦.
١٦- سورة إبراهيم: الآية ١٤.
١٧- ـ سورة الحجر: الآيتان ٤٩ - ٥٠.
١٨- سورة الحجر: الآية ٥٦.
١٩- سورة يوسف: الآية ٨٧.
٢٠- سورة الأعراف: الآية ٩٩.
٢١- الوافي الفيض الكاشاني، ج٤، ص٢٩٤.
٢٢- المصدر نفسه، ص ٢٩٣.
٢٣- تحف العقول، الحسن بن شعبة الحراني، ص١٥٧.

بيَّنا في العدد السابق كيفية علاج الانفعالات العصبية حسب رأي العلم الحديث والقرآن الكريم وفي هذا العدد نستعرض كيفية علاج المشاعر السلبية بالطرق نفسها

من كتاب روائع الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، بقلم عبد الدائم كحيل

علاج المشاعر السلبية بين العلم والقرآن

رأي علماء النفس

نلاحظ أنَّ علماء البرمجة اللغوية العصبية والمعالجين النفسيين يقترحون طريقة عملية لعلاج الخلل في النفس البشرية، مثل الفشل والاكتئاب والمشاعر السلبية وغير ذلك بطريقة ناجحة وهي أنْ يجلس الشخص ويضع ورقة وقلماً ويفكر بالمشاعر السلبية التي يحس بها، ثم يكتب عدة مشاعر إيجابية يطمح إلى تحقيقها ويظن بأنها تحقق له النجاح. ثم يبدأ بالتفكير بما دوَّنه من مشاعر سلبية وما تسببه له ويتخيل المواقف الصعبة التي سيمرّ بها فيما لو استمر تفكيره على هذا الحال من انفعالات سلبية وتصرفات قد تسيء له، ويتصور نظرة المجتمع إليه ويتخيل ردود أفعال المحيط به وهو يحمل هذه الاعتقادات والأحاسيس السلبية.

بعد ذلك ينتقل إلى المشاعر الإيجابية والأفكار التي يحلم أنْ يحملها والصفات التي يود أنْ يتحلى بها، ويفكر بنتائجها الإيجابية، وبما ستقدمه له من استقرار نفسي وجسدي، ويتخيل حجم الفوائد التي

سيجنيها عندما يتحلى بهذه الصفات وكيف ستتغير نظرة من حوله إليه وكيف سيكسب محبة الآخرين واحترامهم وتقديرهم وثقتهم به.

وفي هذه الحالة سوف تتفاعل هذه الأفكار وتنفذ إلى العقل الباطن ويبدأ التغيير باتجاه الأفضل، فالنفس البشرية بطبيعتها تميل إلى حب النجاح والاستقرار والأمل.

إنَّ هذا الأسلوب ساهم في علاج آلاف البشر وحسن من أدائهم وحولهم من أناس سلبيين لا يقدمون أي فائدة لأنفسهم أو لمجتمعهم، إلى أناس إيجابيين امتلئوا بالأمل والمحبة، وأصبحوا يحققون نجاحات مبهرة في حياتهم.

إنَّ علماء النفس وجدوا أنَّ الإنسان يستجيب لأسلوب الثواب والعقاب، وأنَّ طاقته الكامنة كي تتحرر لا بُدَّ من أهداف تضعها أمامها وتعمل على تحقيقها، وباختصار فإنَّ هذه الطريقة تعتمد على تصور النواحي السلبية والنواحي الإيجابية في الوقت نفسه، وترك النفس لتختار الناحية الإيجابية وتتفاعل معها.

شواهد من القرآن الكريم

إنَّ الذي يتأمل كتاب الله تعالى يلاحظ أنه استخدم هذه الطريقة في علاج الفشل لدى البشر، وعلاج المشاعر السلبية وتحويلها إلى مشاعر إيجابية، ونجد هذا واضحاً في كل القرآن وليس في آية محددة، فقد قدَّم تصورات كثيرة إيجابية وسلبية وعرضها أمامنا وكأننا نراها، ثم عرض لنا النتائج التي تسببها وترك لنا حرية الاختيار، حتى إننا لا نكاد نجد آية تتحدث عن الجنة إلا ومعها آية تتحدث عن النار، ولا نجد آية تتحدث عن العمل الصالح ومحاسنه، إلا وتليها آية تتحدث عن العمل السيء وعواقبه وسلبياته، فينادي الله تعالى هؤلاء اليائسين الذين أسرفوا على أنفسهم وارتكبوا المعاصي، بأنْ لا يفقدوا الأمل من رحمة الله تعالى، ويخبرهم بأنَّ الفشل وكل أنواع الإسراف والذنوب التي ارتكبوها سيمحوها الله تعالى بلمح البصر بشرط أنْ يرجعوا وينيبوا إليه سبحانه بقلب سليم، ويحذرهم من عذاب سيأتيهم إنْ لم يفعلوا ذلك ويتوبوا إليه، بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[1].

إذن تأملوا كيف جاءت الآية الأولى بخبر إيجابي فهي تتحدث عن مغفرة الله ورحمته وعدم اليأس: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ والآية الثانية جاءت بخبر سلبي، فتحذر من عواقب عدم الرجوع إلى الله تعالى وأنَّ عذابه سيأتي: ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾.

ثم تأتي الآيات التالية لتصور لنا نتائج الأعمال السلبية إذا بقينا عليها، وتأمرنا بتغييرها فوراً، فانظروا الأمر الإيجابي بقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ..﴾، ويليه مباشرة النتيجة السلبية المؤلمة لمن لا ينفذ الأمر الإلهي: ﴿..مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2].

ثم تأتي مرحلة التصور لنتائج الفعل السلبي من خلال آيات مرعبة، تصور لنا احتمالات متعددة لنتائج سلبية مؤكدة الحدوث فيما لو لم نستجب للتغيير الإيجابي الذي يأمرنا القرآن به، يقول تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[3].

وتتضمن هذه الآيات تصورات لما يمكن حدوثه:

١-﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا﴾، نتيجة سلبية تتضمن الحسرة والندم.

٢- ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾، نتيجة سلبية تتضمن أحلاماً لن تتحقق.

٣-﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾، نتيجة سلبية تتضمن تمني الرجوع إلى الماضي ولكن هيهات أنْ يحدث ذلك.

ولكن ماذا يحدث لو استجبنا للبرمجة القرآنية وطبقنا ما أمرنا الله تعالى به، انظر إلى الآية التالية التي تصور لنا النتائج الإيجابية العظيمة في ذلك اليوم: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]، وتتضمن هذه الآية ثلاثة نجاحات متتالية:

١- النجاة من عذاب الله يوم القيامة: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾.

٢- لن يكون هنالك أي أمر سيء في المستقبل: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾.

٣- لن يكون هنالك أي حزن على ما مضى: ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ملخص القول

إنَّ القرآن العظيم استخدم هذه الطريقة قبل أنْ يكتشفها العلماء بأربعة عشر قرناً، فنجد في كل نص من نصوصه تصويراً دقيقاً للمشاعر السلبية وما قد تسببه في المستقبل، وبنفس الوقت يصور لنا بدقة النواحي الإيجابية ونتائجها وفوائدها في الدنيا والآخرة.

وتأمل معي هذا التصوير الرائع الذي يضعه القرآن أمامنا، وكيف يبين لنا النتيجة السلبية والنتيجة الإيجابية ويقارن بينهما ثم يترك لنا حرية الاختيار: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[5]، هذا سؤال ينبغي علينا أنْ نحضر الإجابة عنه منذ هذه اللحظة لكي ينجينا الله تعالى من عذاب أليم، ونسأله سبحانه أنْ يجعل حياتنا كلها إيجابية، وأنْ يعيننا على تطبيق ما جاء في كتابه إنه على كل شيء قدير.

١- سورة الزمر: الآيتان: ٥٣-٥٤.

٢- سورة الزمر: الآية٥٥.

٣- سورة الزمر: الآيات٥٦-٦٠.

٤- سورة الزمر: الآية٦١.

٥- سورة فصلت: الآية٤٠.

مسابقة حفظ سورة المعارج المباركة

انطلاقاً من ترسيخ الثقافة القرآنية والمفاهيم التربوية في نفوس أبنائنا، أقامت الأمانة العتبة الكاظمية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والإعلام ـ دار القرآن الكريم مسابقة حفظ سورة المعارج في قاعة دار القرآن الكريم، وتسابق المشاركون في حفظها حيث شملت أيضًا حفظ المعاني وحُسن الأداء، وتألفت اللجنة التحكيمية كل من الحاج جلال علي محمد، والأستاذ لؤي حاتم الطائي، والحافظة بتول جبار، وشارك في هذه المسابقة (٧٤) من البنين و (٤٨) من البنات للأعمار من (٦-١٢) سنة، وكانت النتائج في المراكز الثلاثة الأولى للبنين (باقر علي حميد) المركز الأول، والثاني (حسين محمد نجم)، أما المركز الثالث فكان من نصيب (كرار لؤي حاتم)، أما الفائزات من البنات فكانت بالمركز الأول (فاطمة جعفر ناجي)، والثاني (رقية جعفر ناجي)، والمركز الثالث (زهراء أحمد ميري).

وفي سياق متصل تحدث مدير دار القرآن الكريم الحاج جلال علي محمد قائلاً: أقيمت هذه المسابقة ضمن الفعاليات القرآنية التي شهدتها العتبة الكاظمية المقدسة، وتم اختيار سورة المَعَارج المباركة لما فيها من صور قرآنية تتحدث عن مكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث احتوت هذه السورة على الكثير من الكلمات الغريبة والمفردات التي لا يعرف معناها جيلنا الحاضر فساهمت هذه المسابقة في التعريف بتلك المعاني.. كما أفرزت تلك الاختبارات مستويات عالية في الحفظ، والاتقان، وضبط المعاني، ودقة القراءة وحُسن الأداء مع مراعاة أحكام التلاوة.

مُبيناً أنَّ الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تسعى من خلال هذه النشاطات القرآنية إلى تنشئة جيل لا يحيد عن مبادئ القرآن الكريم وتعاليمه، لينهل من معين فكر أهل البيت عليهم السلام وعقيدتهم.

دار القرآن الكريم يحتفي بالطالبة الحافظة نور جاسم محمد

انطلاقاً من قول الرسول الأكرم محمدٍ صلى الله عليه وآله: (أهل القرآن في أعلى درجةٍ من الآدميّين ما خلا النبيّين والمرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن وحقوقهم، فإنّ لهم من الله لمكاناً)، أقام دار القرآن الكريم التابع إلى قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة، حفل تكريم الطالبة الحافظة نور جاسم محمد، والتي أتمت حفظ كل القرآن الكريم من خلال مشاركتها في دورة حفظ القرآن الكريم للنساء التي أقامها دار القرآن بإشراف الحافظة السيدة بتول جبار.

من الجدير بالذكر أنَّ الأمانة العامة للعتبة الكاظمية تَحرص على نشر رسالتها الإنسانية السامية، ودعمها لمشاريع الحركة القرآنية، والاهتمام بالمواهب والطاقات وحثها وتنميتها وتشجيعها والاحتفاء بها وإعدادها للمشاركة في المسابقات والمحافل القرآنية المحلية والدولية.

الامتحانات النهائية لدورة الإمامين الجوادين عليهما السلام القرآنية

أجرى دار القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة الامتحانات النظرية النهائية لدورة الإمامين الجوادين عليهما السلام لأحكام التلاوة وتجويد القرآن الكريم، بإشراف القارئ الدكتور رافع العامري، وفق أجواء مناسبة وأسس علمية رصينة، وذلك سعياً إلى الارتقاء بمستوى المشاركين فيها من خلال تدريبهم على أحكام التلاوة، وتصحيح الأداء القرآني، وتعليمهم قواعد التجويد وبيان مخارج الحروف لتكون تلاواتهم خالية من الأخطاء، حيث أنَّ الدورة اعتمدت منهجاً أكاديمياً وعملياً تُمكِّن المُتخرج منها بتفوق بعد اجتيازه الاختبارات والامتحانات والتقييم النهائي أنْ تكون لهُ القابلية على تدريس طلبة الدورات القرآنية الأخرى.

حضور فاعل في المُلتقى الوطني القرآني

شاركت دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة متمثلة بمسؤولها الحاج جلال علي محمد في الملتقى الوطني الرابع للجهات القرآنية في العراق والذي انعقد في كربلاء تحت شعار (تمثيل العراق شرف للجميع) برعاية المركز الوطني لعلوم القرآن التابع لديوان الوقف الشيعي وبالتعاون مع دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة.

شهد المُلتقى حضور مسؤولي دور القرآن الكريم في العتبات المقدسة ومسجد الكوفة المعظّم والمزارات الشيعية والحشد الشعبي وعددٍ من مدراء الجهات القرآنية في بغداد والمحافظات.

افتتح المُلتقى بآيٍ من الذكر الحكيم شَرَع بعدها مدير المركز الوطنيّ لعلوم القرآن القارئ الدكتور رافع العامري بكلمة له رحب فيها بالحاضرين وقد استعرض ما تم الاتفاق عليه في المُلتقى السابق وأهم النتائج المتحققة دوليًا.

ثم بدأ الحاضرون بمناقشة ما طرح في ورقة العمل وبعد إتمام حديثهم خرج المجتمعون بتوصيات:

- اعتماد مرشحي التلاوة في كل محافظة لمسابقة النخبة الوطنية الثانية عشرة بعدد قارئ واحد لكل عشرين مشاركًا، وإذا زاد عدد المشتركين بالمحافظة الواحدة على (٢٠) يتم صعود قارئين، فإنْ زاد على (٤٠) سيصعد ثلاثة قرّاء.
- في محور الحفظ تم تكليف العتبة الحسينية بإجراء اختبار عام لكل حفاظ المحافظات، تحت إشراف المركز، ليترشح منهم من يجتاز درجة الـ(٩٠) فأكثر للتمثيل الدولي.
- أما بخصوص مرشحي العتبات والمزارات والحشد الشعبي فسيكون صعود حافظ واحد عن كل عشرة حفاظ ليشتركوا في المسابقات التمهيدية.
- اتفق الحاضرون على أنْ يكون المركز الوطني لعلوم القرآن التابع لديوان الوقف الشيعي هو الجهة الوحيدة التي عن طريقها يتم ترشيح ممثلي العراق للمسابقات الدولية وتعهد الجميع بالالتزام بهذا الميثاق.
- صعود القُرّاء والحفاظ الأوائل في مسابقات العام الماضي من كلا الجنسين إلى مسابقات النخبة المقبلة مباشرة، والذين غُبن حقهم في الترشيح للمسابقات الدولية نتيجة ما جرى من صعود غيرهم من جهات أخرى بترشيح غير رسمي.
- أوصى المجتمعون بضرورة تَبَنِّي ديوان الوقف الشيعي دعم القراء والحفاظ والجهات القرآنية لمساعدتهم بالنهوض بالواقع القرآني.

دار القرآن الكريم
يقيم دورة الجوادين عليهما السلام التاسعة

حسين علي السعدي

تطبيقاً لقول رسول الله ﷺ: (أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حُبِّ نبيكم، وحُبِّ أهل بيتهِ، وقراءة القرآن)، أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والإعلام/ دار القرآن الكريم، دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام الصيفية التاسعة للبنين والبنات، لحفظ القرآن الكريم، وتعليم تلاوته وأحكامه.

كما شهدت الدورة دروساً في العقائد والأخلاق والفقه المُبسط، والهدف منها تحصين أبنائنا الطلبة وتنشئتهم نشأةً إسلامية من خلال تجذير ثقافة القرآن الكريم، وعلوم أهل البيت عليهم السلام، وزرع القيم السامية والأخلاق الفاضلة لديهم.

ويذكر أنَّ هذه الدروس تبدأ من الساعة (١٠ صباحاً)، إذ تم تخصيص أيام السبت والاثنين (للمرحلة الابتدائية) للذكور، والأحد والثلاثاء (للمرحلة المتوسطة) للذكور، والأربعاء والخميس "للإناث" فقط، بإشراف نُخبة من الأساتذة الأكفاء في المجال القرآني.

وبغية الوقوف على تفاصيل هذا النشاط القرآني المبارك، تحدثت إلينا إحدى مدرسات الدورة القرآنية السيدة (هدى فخري): من جوار الإمامين الجوادين الطاهرين عليهما السلام تُقام الدورات التطويرية القرآنية والتي تُنظِّمها دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة بغية اغتنام العطلة الصيفية، ونشر الثقافة القرآنية بين أوساط الفئات العمرية المختلفة والتي تتضمن المرحلة الابتدائية والثانوية.

وأضافت السيدة هدى: إنَّ هذه الدورة تضم عدداً من الفتيات اللواتي يمتلكن طاقة كبيرة، ونحن نسعى وبصورة جدية إلى صقل هذه المواهب في مجال القرآن وباقي العلوم الدينية، وختاماً نسأل الله تعالى أنْ يوفقنا لهذه الخدمة الجليلة.

وإتماماً للفائدة المرتجاة من هذه الدورة وتيمناً بيوم المباهلة المبارك أقام دار القرآن الكريم حفل تخرج الدورة بحضور الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة الدكتور حيدر الشمري وأعضاء مجلس الإدارة، وعدد من الأساتذة والمهتمين

بالشأن القرآني وطلبة الدورة القرآنية.

استهل الحفل بتلاوة مباركة من الذكر الحكيم من قبل الطالب محمد عدنان أحمد، تلتها كلمة الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ألقاها أمينها العام قائلاً: (من رحاب الإمامين الجوادين عليهما السلام، نرحب بفلذّات القلوب .. البراعم من أتباع ومحبي النبي محمد وآله الأطهار عليهم السلام، أنَّ تخرُّجكم من دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام القرآنية الصيفية التاسعة، وعلى يدِ أساتذة كبار أكفاء هو فرصة كبيرة ربما لم تتح لغيركم من التشرُّف والتخرُّج

من هذه البقعة المقدسة التي احتضنت جَسَدَين طاهرين لإمامين معصومين موسى بن جعفر الكاظم ومحمد بن علي الجواد عليهما السلام، بل وفرصة كبيرة أنْ تحظوا بهذه الدورة وأنتم تتلـون كتاب الله تعالى، وتتعلمون أحكامه، وتتفقهوا في دينكم وأخلاقيات إسلامكم ... ولا يسعنا إلا أنْ نتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع الأساتذة المشرفين على الدورة ولعوائلكم الكريمة، ونتمنى لكم دوام التوفيق والنجاح).

وشهد الحفل فقرات عدة منها مشاركة لفرقة إنشاد الجوادين، ومشاركة عدد من طلبة وطالبات الدورة القرآنية بمجموعة من الأناشيد الدينية.

واختتم الحفل بتوزيع الهدايا والشهادات التقديرية على الأساتذة والطلبة المشاركين في الدورة.

كرامة الإنسان وصونها

في ظلال الكتاب والعترة

كيف لا تلف الحيرة المتوغل في هذا النوع من الحديث الذي يُعنى بكرامة الإنسان وكيف لا ينتابه التردد؟ وهو يعلم علم اليقين أنه لن يضيف شيئاً جديداً, ولا يزيد على كل من هو سابق أو لاحق, خصوصاً وأننا نعيش في جوهر هذه المحنة الإنسانية التي تُعدُّ فيها المطالبة في الحفاظ على كرامة الإنسان المستلبة هي الشغل الشاغل للأقلام المدافعة الخيرة والأصوات الصادحة أملاً في تحقيقها. وهو الأمر الذي يستدعي تسليط الضوء على دور القرآن الكريم والعترة الطاهرة في جعل الحفاظ على كرامة الإنسان من الأولويات التي ينبغي تحققها.

عامر عزيز الأنباري

إنَّ الحضارة الغربية التي اغتر بها الكثيرون رغم أنها بلغت ما بلغته من رقيٍّ في العلوم والمكتشفات إلا أنها عجزت عن الحفاظ على كرامة الإنسان، بل جعلت منه الضحية الأولى تحقيقاً لمآربها، فلم تفلح شعاراتها البرّاقة وادعاءات مريديها في الدفاع عن حقوق الإنسان في وضع حدٍّ لغطرسة القوى الكبرى وشهيتها المفتوحة في امتهان واستعباد الأمم والشعوب التي هي دونها في القدرة والمِنعة.

إنّ ما يتبجح به الغربيون هو حيازتهم قصب السبق في المطالبة بحقوق الإنسان والدفاع عن كرامته التي جاءت في دساتيرهم وقوانينهم الدولية، وهي في حقيقتها تفتقر إلى العمق التأريخي، فحقيقة الأمر أنَّ أول ما أعلن لديهم فيما يتعلق بكرامة الإنسان ما ورد في القوانين الإيرلندية عام ١٩٣٧م من القرن الماضي، وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م، وما ورد في وثيقة منظمة اليونسكو. بينما نجد أنَّ القرآن الكريم وقبل ما يربو على أربعة عشر قرناً يعلن أنَّ كرامة الإنسان هي فوق كل الاعتبارات، والمساس بها يُعدُّ انتهاكًا صارخًا لا يرضى به الله تبارك وتعالى، فهو الذي جعل الكرامة قرينةً للنفس الإنسانية ولصيقةً بها، بل جزءاً لا يتجزأ عنها، فهي حالة فطرية تولد بولادة الإنسان، وتجري معه مجرى الدم في العروق، فالإسلام لا يرضى للإنسان الذي هو إما (أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)[1] أينما كان وحيثما كان - وبغض النظر عن انتمائه وأصوله - أنْ يُظلم أو يُستعبد أو يُهان أو يُمتهن أو يُسلب حقه في العيش الرغيد الآمن المستقر.

١- نهج البلاغة: ج٣، ص٨٤.

نعاود القول إنَّ كرامة الإنسان متأصلة في ذاته وفطرته، وقد أقرتها اللوائح والسنن والقوانين الدولية، كما عرفتها من قبل ذلك الشرائع والأديان السماوية التي تختلف عن الإسلام بما تعرضت له من التحريف والتزييف، فاليهودية التي أفرطت في الاستهانة بغيرها من الديانات والأمم والشعوب، اعتبر فيها اليهود أنفسهم شعب الله المختار، ولهم الحق في امتهان واستعباد منْ يخالفهم في ذلك، بينما جعلت النصرانية التي هشَّمها التحريف كرامة الإنسان أهون ما يكون، ولم تعطه الحق الدفاع عن كرامته ودفع أذى الآخرين، فتبيح لمن يصفعك في خدك اليمين أنْ تدير له خدك الأيسر! في الوقت الذي فرض فيه الإسلام المساواة، ونهى عن التفرقة التي تمسك بها اليهود ففيه: (ليس لأعجمي على عربي فرق إلا بالتقوى)[2]، وأعطى المسلم حق الدفاع عن

٢- تحف العقول عن آل الرسول: الحسن بن شعبة الحراني، ص٣٤.

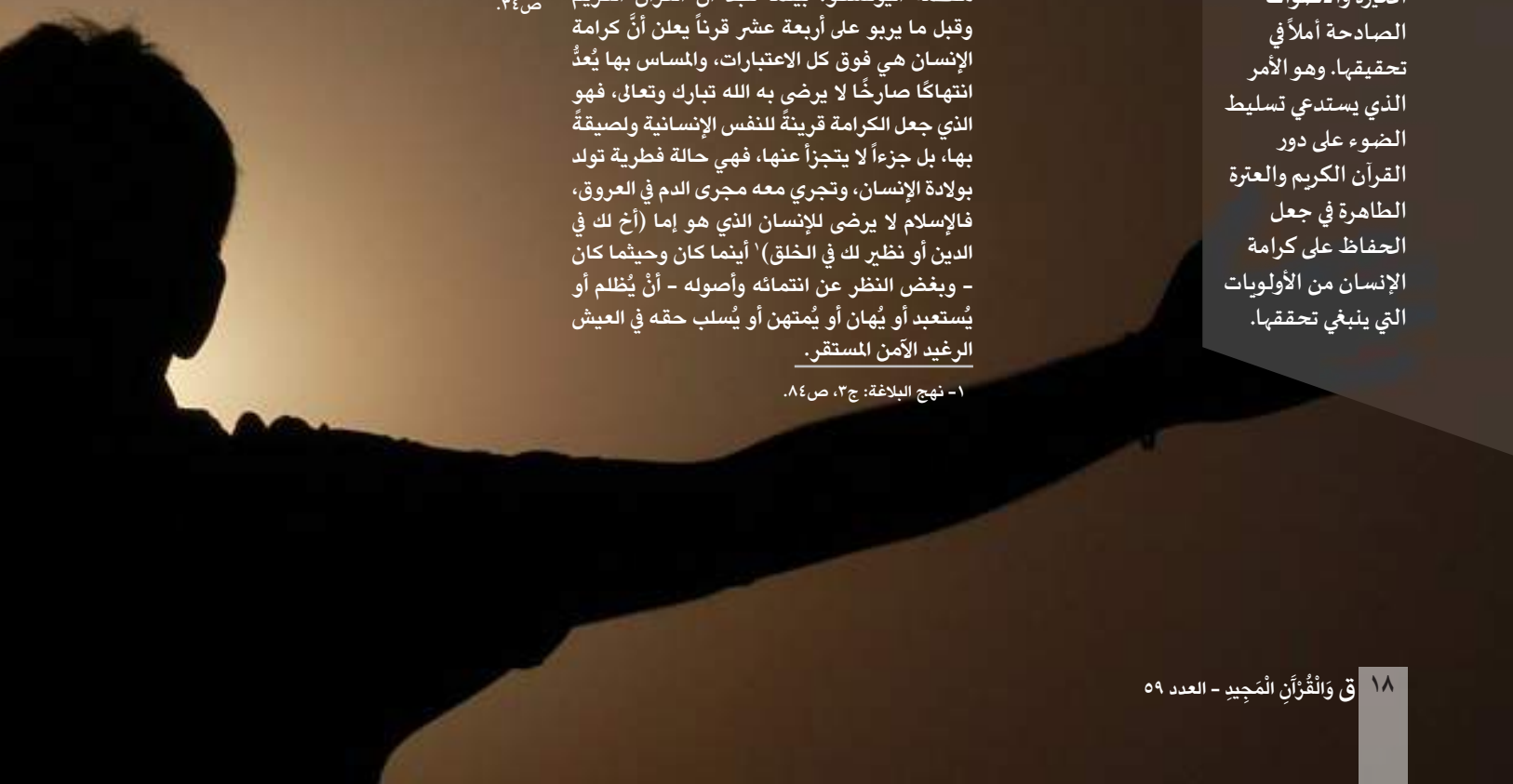

النفس بالقدر الذي حبب إليه العفو والتسامح ففيهما يكمن الإصلاح في المجتمع: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[3].

لقد حقق الإسلام انقلاباً نوعياً في الحياة الإنسانية، وفجَّر ثورة على كل المفاهيم والقيم التي كانت تسود المجتمعات الجاهلية، والتي كانت تُخلُّ بكرامة الإنسان وتستخف بقيمته في الوجود، فقتل النفس المحترمة واستباحة الدم والمال والعرض وهتك الحرمات والتعامل مع الناس بحسب اللون والعرق والنسب وامتهان المرأة واعتبارها كسقط المتاع واستلاب حقوقها وكرامتها، كل ذلك كان شائعاً في بلاد العرب، وليس فيها فحسب بل في عموم بقاع الأرض، فكان للإسلام وللقرآن الصيحة المدوية التي أيقظت الضمير الإنساني، ودعت إلى تحرير الإنسان من كل هذه القيود والاستعباد، فهو ليس هيناً وإنَّما هو (بنيان الله..وملعون من يهدم بنيانه)، ولقد حباه من روعة الخلقة وجمال التكوين في الروح والبدن جاء في قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[5]، كما غرز في النفس الإنسانية من الفضائل ما يسمو بها وأمَرَ الملائكة بالسجود لأبينا آدم عليه السلام تحيةً له وإعظاماً لقدره: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[6]، مما جعله يفوق ما عداه من المخلوقات، بل استخلفه في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[7]، كما أنه تبارك وتعالى تحنَّن عليه بنعمة لا تضاهى ألا وهي نعمة العقل وقوة الإرادة التي تمكنه من ضبط النفس، والقدرة على التحكم بها وكبح جماح الشهوات، وحباه ما حباه من النعم والخيرات المرادفة لذلك: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[8]. وسخَّر له ما سخَّر من المخلوقات والقدرات والطاقات التي جعلته سيداً في هذه الأرض: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾[9]، ومن دلائل الرأفة بالناس والرحمة الربانية بهم، هو عدم التخلي عنهم وإنْ حادوا عن الصراط السوي، فالله تبارك وتعالى يُرسل لهم رسله، ويحثُّ الصالحين من عباده على نصحهم ودعوتهم للتخلي عما هم عليه من الشرك والضلال والتوقف عن الظلم والبغي، فيذكرهم بنعمه وآياته البينات: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[10] كما يأمر رسله بلين القول والحكمة والموعظة الحسنة في دعوة الناس إلى دين الحق: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[11]، ويثني على خلقه ﷺ وحسن تودده للناس وخلقه القرآني الذي كان سبباً في هداية الكثيرين منهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[12]، والمصطفى ﷺ وآل بيته الأطهار عليهم السلام هم مما أكرم الله تعالى على الإنسانية فهم الرحمة المهداة لكل البشر.

إنَّ التكريم الذي حظي به ابن آدم لم يتوقف عند حد معين فهو ملازم له في حياته وحتى مماته، فالإسلام يعطي لصحة الإنسان وقوام جسده ونفسه أهمية قصوى، ويأمره أنْ لا يفرط بها وإنْ تقدم به السن وبلغ أرذل العمر (إنَّ لِبَدَنِكَ عَليكَ حَقّاً)[13]، ويُحرِّم عليه الانتحار فيعدَّه قتلًا للنفس وهو من الكبائر، ولم يُذكر للنبي ﷺ أنه صلَّى على ميتٍ انتحر.

ويحرِّم الإسلام الانتقاص والتمثيل برفات الموتى فضلاً عن سلوكهم وعقائدهم، فقد قال ﷺ: (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور)[14]، ويأمر بتكريم الميت في الإعلان عن وفاته وتغسيله وتكفينه وتشييعه ودفنه والصلاة عليه إذا ما كان مسلمًا، كما نهى عن هتك حرمة للموتى أو التعرض لهم بالسب والشتم وحرم نبش القبور.

إنَّ الله جلَّ وعلا هو الحاكم العادل، وعدالته تقتضي أنْ يُقتص للمظلوم من الظالم، ففي عالم الآخرة تختلف المعايير عما كانت عليه في الحياة الدنيا فالرحمة الإلهية التي كانت تغمر المؤمن والكافر تضيق فلا تسع إلا: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[15]، ولا كرامة للجبابرة والظالمين، بل هو الهوان والعذاب الأليم: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾[16]، فعندها لا كرامة أو حظوة تبقى إلا لمن: ﴿أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾[17] ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾[18].

إنَّ كُلَّ هذه النصوص القرآنية وغيرها تؤكد مقام الإنسان وكرامته عند الله تعالى، وأهمية ذلك في حفظ حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية.

٣- سورة البقرة: الآية١٩٤.
٤- سورة غافر: الآية٦٤.
٥- سورة التين: الآية ٥.
٦- سورة الحجر: الآية ٢٩.
٧- سورة البقرة: الآية ٣٠.
٨- سورة الإسراء: الآية ٧٠.
٩- سورة يوسف: الآية ٥٦.
١٠- سورة الانفطار: الآيتان٦-٧.
١١- سورة النحل: الآية ١٢٥.
١٢- سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
١٣- تأريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج٨، ص٤٤٠.
١٤- الوافي: الفيض الكاشاني، ج٢،ص٣٣٥.
١٥- سورة المائدة: الآية ٦٩.
١٦- سورة إبراهيم: الآية ٤٩.
١٧- سورة الليل: الآيتان٥-٦.
١٨- سورة المعارج: الآية ٣٥.

د. موريس بوكاي

الطبيب والعالم الفرنسي المعروف. كان كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) من أكثر المؤلفات التي عالجت موضوعًا كهذا، أصالة واستيعابًا وعمقًا. ويبدو أن عمله في هذا الكتاب القيّم منحه قناعات مطلقة بصدق كتاب الله، وبالتالي صدق الدين الذي جاء به. دعي أكثر من مرة لحضور ملتقى الفكر الإسلامي الذي ينعقد في الجزائر صيف كل عام، وهناك أتيح له أن يطلع أكثر على الإسلام فكرًا وحياة.

(لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثًا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف، قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، أنَّ القرآن يذكر أنواعًا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أنْ أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أنَّ القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل. أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخًا في عصرنا. وأما بالنسبة للأناجيل.. فإننا نجد نصّ (إنجيل متى) يناقض بشكل جلي (إنجيل لوقا)، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرًا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض)[1].

وقال أيضاً: (لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية. فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تمامًا للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نصّ كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا. في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام. وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة)[2].

١- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص١٥٠.

٢- المصدر نفسه، ص١٤٥.

وذكر أيضاً: (تناولتُ القرآن منتبهًا بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية. لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات وهي تفاصيل لا يمكن أنْ تدرك إلا في النص الأصلي. أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرة والتي لم يكن ممكنًا لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أنْ يكون عنها أدنى فكرة)[3].

(كيف يمكن لإنسان – كان في بداية أمره أمِّيًا –.. أنْ يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أنْ يكوِّنها، وذلك دون أنْ يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة؟)[4].

٣- المصدر نفسه.

٤- المصدر نفسه، ص١٥٠.

رعاية اليتيم في القرآن الكريم

أولى الدين الإسلامي اليتيم -وهو الذي مات أبوه وهو صغير قبل البلوغ[1]- عناية خاصة، وقد بيَّن القرآن الكريم من خلال آياته الشريفة مفاصل هذه العناية ومداها، فقد جاء ذكر ذلك فيه على غير مرة وصورة، مؤكداً على تلك الأمور التي لها دور مهم في بناء شخصية اليتيم وتوفير الحياة الكريمة له، حيث لفت القرآن الكريم أفهام الناس إلى ضرورة مراعاة الجانب النفسي لليتيم، إذ نهت آياته الكريمة الناس من كل تصرف أو كلام يصدر عنها من شأنه ترك آثار سلبية على نفسية اليتيم، فمن المعلوم أنَّ مرحلة الطفولة مرحلة حساسة وتعد محطة تأسيسية تزرع فيها الانطباعات السلوكية العامة للفرد وبعض النزعات النفسية لديه، ويتركز بناء شخصيته وفقاً لهذه المكتسبات، ومن هنا نهى الله تعالى الناس عن كل سلوك أو كلمة تولّد لدى اليتيم الإحساس بالاستهانة أو الإهانة، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[2] أي لا تذلل[3]، (فلا ينبغي لليتيم أنْ يعيش حالة الانكسار والذلة بفقدان أبيه، وينبغي الاعتناء به وإكرامه لسد الثغرة التي تسببت برحيل أبيه، وقد أولت الأحاديث الشريفة والروايات هذا الجانب أهمية خاصة، وأكدت على ضرورة رعاية وإكرام اليتيم. فعن الإمام الصادق عليه السلام، إنه قال: (ما من عبد يمسح يده على رأس يتيم رحمة له إلا أعطاه الله بكل شعرة نوراً يوم القيامة)[4][5].

ومما أكد عليه القرآن الكريم أيضاً هو الجانب المادي فحثنا على وجوب المحافظة على أموال اليتيم وذلك في قوله عز من قائل: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[6]، وقد اشتملت هذه الآية المباركة على نكتة في غاية الأهمية إذ جاء التحذير فيها ليس عن أخذ الأموال فقط وإنما عن مجرد الاقتراب منها (﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ﴾ وهو أبلغ من النهى عن تناوله؛ لأنَّ النهي عن قربه أبلغ من النهي عن أخذه، وعلى هذا قوله: (ولا تقربا هذه الشجرة))[7]، أما فيمن سوّلت له نفسه سرقة هذه الأموال من خلال تملكها وضمّها لأمواله بذريعة الوصاية أو غيرها فإنَّ القول الفصل جاء فيه إذ قال الحق جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[8]. كما بيَّن لنا عز وجل في كتابه ضرورة رعاية مصالح اليتيم حتى يبلغ سن الرشد ويتمكن من رعاية مصالحه بنفسه ويستطيع التمييز بين الأمور من حيث النفع أو الإضرار بمصلحته، فقد جاء قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا﴾[9]، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إنه لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، أخرج كل من كان عنده يتيماً، وسألوا رسول الله في إخراجهم فأنزل الله: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ)[10].

إنَّ الشعور بالرحمة والرأفة تجاه من هو أضعف منّا وأقلّ حيلة لشعور يصدر من عمق إنسانية الفرد وآدميته، وإنَّ القرآن الكريم حينما خاطب الناس بآياته للالتفات إلى أهمية رعاية اليتيم إنّما هو يستفز فينا آدميتنا ويستنهض إنسانيتنا، فما الغلظة إلا من خصائص الوحوش وما القسوة إلا للجماد.

١- حقوق آل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنة باتفاق الأمة، الشيخ محمد حسين الحاج، ص١٧٠.
٢- سورة الضحى: الآية٩.
٣- المفردات في غريب القرآن، الراغب الإصفهاني، ص٤١٤.
٤- بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي، ج٧٢، ص٥.
٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ٢٠، ص١٩٠.
٦- سورة الإسراء: الآية ٣٤.
٧- المفردات في غريب القرآن: ص٣٩٩.
٨- سورة النساء: الآية١٠.
٩- سورة النساء: الآية٦.
١٠- تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، ج١، ص٧٢.

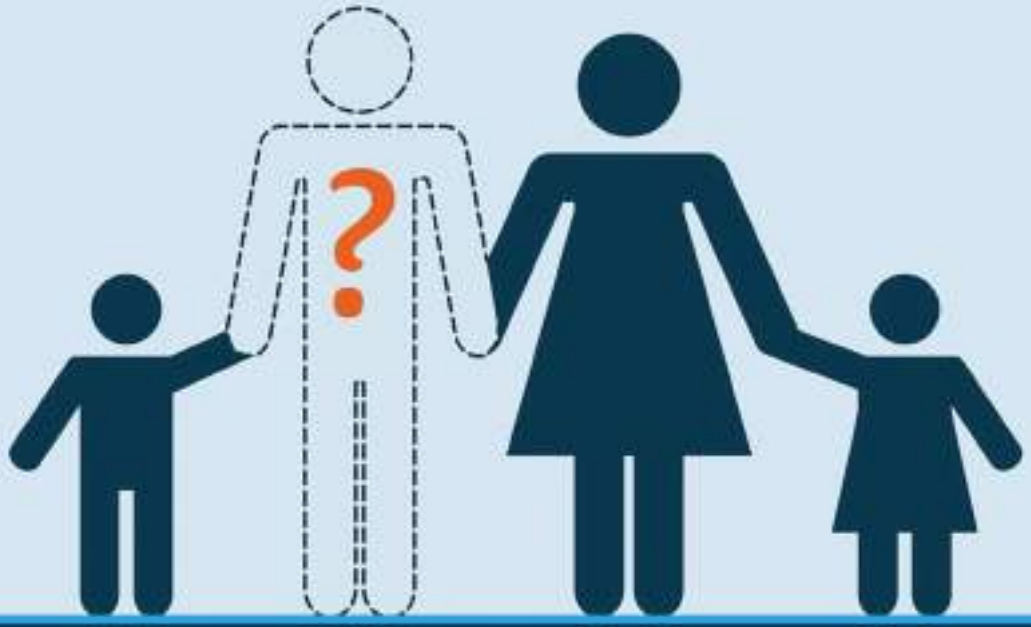

الإملاق في القرآن الكريم

يعد الإملاق من الابتلاءات التي ابتُلي بها المجتمع منذ عصر ما قبل الإسلام (الجاهلية) حيث يقوم الآباء بقتل الأولاد بسبب الفقر تارة، وخوفاً منه تارة أخرى. وفي عصرنا الحاضر نجد أنَّ بعض المجتمعات تجيز إسقاط الجنين وتحديد النسل البشري خوفاً من تكاثر عدد السكان، والأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تمر بها بعض الدول بسبب الحروب وغيرها.

وهناك أسباب ودوافع تؤدي بالآباء إلى هذا العمل المحرم تجاه أولادهم، ولعل أهمها هو حصول خلل في الإيمان بالله تعالى وهو الرزاق بغير حساب، إذ يتصور البعض وأنَّ رزق الله تعالى سوف يذهب إلى أولاده فسينقص من رزقه شيء وكأن خزائن الله جل وعلا ستنفد (حاشا لله): ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[1]، وكذلك أنَّ الذي يُقدم على هذا العمل الإجرامي هو دليل ضعف وعدم التوكل على الله في الأمور كلها، حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: (التوكل على الله نجاة من كل سوء، وحرز من كل عدو)[2].

(والإملاق: الافتقار. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[3])[4]، وهو قتل الأولاد بالفقر، أما الآية الثانية فتنص: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[5] فإنه يربطه بالخوف من الفقر.

إنَّ (الخوف أكثر قلقاً وتأثيراً، فتكفل الله تعالى أولاً برزق الأولاد ومن ثم الآباء ليقلل من القلق والخوف، وربما يكون السر في هذا التفاوت بين الآيتين أنَّ الجوع حاصل الآن، وأما خوف الفقر فإنه في المستقبل، ولذا قال في الآية الأولى: نحن الآن نرزقكم أنتم ونرزق أبناءكم، وأما في الآية الثانية التي تتحدث عن خوف الفقر فإنه قال: لا تقلقوا نحن سنرزق أبناءكم وسنرزقكم أنتم أيضاً)[6].

هناك تعاليم عدة للآية الشريفة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ يذكرها صاحب تفسير النور كما يأتي:

- للولد حق في الحياة، ولا يحق للوالدين أنْ يسلباه هذا الحق: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾.
- الفقر وقلة ذات اليد يؤثران حتى على أقوى الناس

١- سورة الحجر: الآية ٢١.
٢- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج٧٨، ص٧٩.
٣- سورة الأنعام: الآية ١٥١.
٤- ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة (ملق).
٥- سورة الإسراء: الآية ٣١.
٦- تفسير النور، الشيخ محسن قراءتي، ج٥، ص٤٤.

عاطفة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾.

- الخوف من ضرر الفقر وآثاره لا يجوِّز ارتكاب المعصية وتجاهل حقوق الآخرين: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾.
- إذا لم يكن الأمن النفسي والإيمان موجودين عند الإنسان، فلن يؤدي الفقر فقط إلى قتل الأولاد، بل الخوف من الفقر أيضا سوف يؤدي إلى ذلك: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾.
- التنبه والالتفات إلى الضمانات الإلهية سوف يمنعان من الوقوع في المعاصي: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا ... نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾.
- لا تغفلوا عن الإيمان والتوكل: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾.
- الله أرحم من الآباء والأمهات لذا لا تسيؤوا الظن به: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾.
- الرزق بيد الله تعالى، وأنَّ كثرة عدد السكان لا أثر له، ولذا فإنَّ الولد ليس من أسباب الفقر: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.
- أحياناً يكون رزقنا في ظل رزق الأولاد: ﴿نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.
- قتل الأولاد وإسقاط الجنين معصية وجريمة سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ... خِطْئًا كَبِيرًا﴾.
- الذنوب ليست على حد سواء، إذ توجد ذنوب صغيرة وذنوب كبيرة أيضاً: ﴿خِطْئًا كَبِيرًا﴾[٧].

ختاماً إنَّ الرزق والفضل بيد الله عز وجل فقال: ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٨]، ومن هنا يجب أنْ يتعقل بني آدم ويفهم أنَّ الله تعالى جعل الأعمار متفاوتة فمنهم من يعمر ومنهم من يرد إلى أرذل العمر، وإنه هو الرزاق لهم بفضله ومَنِّه، والذي رزقهم قادر على أنْ يرزق أولادهم، وما الآباء إلا وسطاء لنقل رزق الله تعالى إلى الأولاد، ثم إنَّ الله تعالى رازق كل شيء خلقه ولا ينسى من خلقه شيئاً، وإنه يرزق الطير والشجر والحوت في البحر، وهذا من عدله في خلقه، فإنه ينزل الرزق وهو أرحم الراحمين. وهذا رسول الله ﷺ يستبشر بولادة السيدة الزهراء عليها السلام فيسجد ويقول: (الحمد لله الذي رزقني بنتاً كمريم بنت عمران، فجاء جبرئيل عن الله عز وجل أنَّ ابنة عمران كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين)[٩].

٧- تفسير النور، ج٥، ص٤٤-٤٥.

٨- سورة النور: الآية٣٨.

٩- روضة المتقين، الشيخ محمد تقي المجلسي، ج١١، ص٣٥.

الصبر في القرآن

محمد أيوب

لقد بيَّن الله تعالى في كتابه الكريم كل ما يحتاجه الإنسان من قيم ومبادئ، وحثه على الخصال الحميدة التي من شأنها الارتقاء بحال الإنسان وضمان سعادته وفوزه، ومن تلك الخصال -إنْ لم يكن أهمها- الصبر، فما هو الصبر؟ وما هي أقسامه؟ وما الباعث عليه؟ وما هي ثماره؟ ومن هم الصابرون؟ أسئلة سنحاول الإجابة عنها في هذه الوقفة القرآنية.

ما هو الصبر

يأتي الصبر في اللغة بمعنى (التحمل وعدم الجزع، كقولنا: صبر على الأمر أي احتمله ولم يجزع) وتأتي أيضاً بمعنى (انتظر في هدوء واطمئنان)، وقد تأتي بمعنى (الحبس) نحو قولنا: صبر عن الرجل، أي: حبس نفسه عن الرجل[1].

وقد يجمع معنى الصبر في أصل واحد وهو: (حفظ النفس عن الاضطراب والجزع بالسكون والطمأنينة)[2].

أقسام الصبر في القرآن

يبين لنا القرآن الكريم معنى الصبر على وجهين:

الأول: الصبر السلبي، وهو الصبر المذموم، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[3]، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان الصبر قوله: (ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنه يصيرهم إلى النار)[4].

١- المعجم الوسيط، ص٥٠٥، باب (صبر).

٢- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن مصطفوي، ج٦، ص٢٢١.

٣- سورة البقرة: الآية ١٧٥، ومن أراد التوسع فليراجع الآيات: (سورة إبراهيم: الآية ٢١، سورة الفرقان: الآية ٤٢، سورة ص: الآيتان ٦-٧، سورة فصلت: الآية ٢٤، سورة الطور: الآية ١٦).

٤- الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٢٦٩.

الثانـــي: الصبر الإيجابي، وهو الصبر المحمود، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٥]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (لا شيء أحب إليه [يعني الله] من الضر والجهد والبلاء مع الصبر)[٦].

كما وقسمت الشريعة الصبر الإيجابي وفق متعلقه إلى ثلاثة أقسام كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية...)[٧]، والشواهد القرآنية على هذا كثيرة منها:

القسم الأول: الصبر على المصيبة، وهو التعامل مع المصائب بسكينة وهدوء وعدم الاضطراب، وإرجاع الأمور كلها لله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٨].

القسم الثاني: الصبر على الطاعة، وهو تحمل الطاعة والثبات عليها،قال تعالى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾[٩]، والاصطبار هنا بمعنى: (افتعال ويدل على اختيار الفعل، فإنَّ العمل بالطاعة من الأمور الحادثة والمستقبلة، فيلزم التهيُّؤ والتصميم للصبر عليه، وهذا هو معنى اختيار الصبر)[١٠].

القسم الثالث: الصبر عن المعصية، بمعنى حبس النفس عن المعصية وصدها عن المغريات الدنيوية، وتحمل آلام وأوجاع محاربة النفس ومنعها من اقتراف المعاصي، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١١]، يظهر من الآية أنَّ سبب المن على نبي الله يوسف عليه السلام هو تقوى الله عن المعاصي والصبر.

مقتضيات الصبر وثماره؟

بعد أنْ عرفنا معاني الصبر وموارده ينبغي علينا معرفة متطلبات الصبر وبواعثه ومقتضياته، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- الإيمان بالله، فقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له)[١٢].

٢- حسن الظن بالله وعدم القنوط، قال تعالى في قصة يعقوب النبي عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾[١٣].

٣- التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[١٤]، فالتوكل باعث للصبر كما أن الصبر مثبت ومؤكد للتوكل.

٤- التسليم لأمر الله، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[١٥].

٥- العلم، قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[١٦]، وكلمة (خبرا) هنا بمعنى العلم.

كما أنَّ ثمار الصبر متعددة وأمثلتها في القرآن الكريم كثيرة منها:

١- الفوز والثواب الحسن ثمرة الصبر، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[١٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[١٨].

٢- حصول الكمالات النفسية الداخلية وآثارها الخارجية من ثمار الصبر، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء...)[١٩]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (ثلاث بهن يكمل المسلم: التفقه في الدين، والتقدير في المعيشة، والصبر على النوائب)[٢٠] فالصبر مقدمة تستلزم تهيئة النفس وتوجيهها لتلقي الهبات الإلهية النازلة على الخلق بالتساوي، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ [إلى قوله:] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٢١].

٣- الخلافة على الأرض ووراثتها من ثمار الصبر، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا [إلى قوله] بِمَا صَبَرُوا﴾[٢٢].

٤- نيل الدرجات الرفيعة والرتب العالية من ثمار الصبر، قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٢٣].

٥- انكشاف المصائب والبلايا وحلول البركات من ثمار الصبر، قال تعالى في قصة نبي الله أيوب عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ [إلى قوله:] إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾[٢٤].

٦- الرضا بقضاء الله، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ [الى قوله:] لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[٢٥] ففي تفسير هذه الآية قال صاحب الميزان في تفسير القرآن ما نصه: (وأمره بالصبر والتسبيح والتحميد يقضي أنْ يكون المراد بالرضا الرضا بقضاء الله وقدره، والمعنى فاصبر وسبح بحمد ربك ليحصل لك الرضا بما قضى الله سبحانه)[٢٦].

علامة الصابرين

مما لا شك فيه أنَّ الصبر معيار في تشخيص مرتبة الإنسان من حيث الاستعداد الذاتي والقدرة الروحية، وكمال الصبر دال على بلوغ النفس كمالها التام، ومن علامات كمال الصبر كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (علامة الصابر في ثلاث أولها أنْ لا يكسل، والثانية أنْ لا يضجر، والثالثة أنْ لا يشكو من ربه عز وجل، لأنَّه إذا كسل فقد ضيع الحق، وإذا ضجر لم يؤد الشكر، وإذا شكا من ربه عز وجل فقد عصاه)[٢٧].

وكما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (الصبر من ذلك على أربع شعب: على الشوق، والإشفاق، والزهد، و الترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق عن النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات)[٢٨]، والمعنى أن من اشتاق إلى الجنة صبر عن الشهوات، ومن أشفق عن النار صبر عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا صبر على المصيبات، ومن راقب الموت صبر على الطاعات.

وأما مصاديق الصابرين فهم أكمل الخلق إيماناً وعلماً وخلقاً، هم أنبياء الله تعالى وخلفاؤه، وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢٩].

٥- سورة آل عمران: الآية ١٤٦.
٦- بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، ج٧٩، ص١٤٧.
٧- المصدر نفسه، ج٦٨، ص٩٢.
٨- سورة البقرة: الآيتان ١٥٥-١٥٦.
٩- سورة مريم: الآية ٦٥.
١٠- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٦، ص٢٢١.
١١- سورة يوسف: الآية ٩٠.
١٢- الكافي، ج٢، ص٨٩.
١٣- سورة يوسف: الآية ٨٣.
١٤- سورة إبراهيم: الآية ١٢.
١٥- سورة الصافات: الآيتان ١٠٢-١٠٣.
١٦- سورة الكهف: الآية ٦٨.
١٧- سورة المؤمنون: الآية ١١١.
١٨- سورة الإنسان: الآية ١٢.
١٩- بحار الأنوار، ج٦٨، ص٩٠.
٢٠- المصدر نفسه، ج٦٨، ص٨٥.
٢١- سورة البقرة: الآيات ١٥٥-١٥٧.
٢٢- سورة الأعراف: الآية ١٣٧.
٢٣- سورة البقرة: الآية ١٧٧.
٢٤- سورة ص: الآيتان ٤٣-٤٤.
٢٥- سورة طه: الآية ١٣٠.
٢٦- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج١٤، ص٢٣٨.
٢٧- بحار الأنوار، ج٦٨، ص٨٦.
٢٨- المصدر نفسه، ج٦٥، ص٣٥١.
٢٩- سورة السجدة: الآية ٢٤.

أصوات
صدحت بذكر
اللّه، ونفوس
ارتقت بفضله،
وأجساد بذلت
نفسها من أجل
إعلاء كلمته
ونشرها بين
خلقه، هم قُرّاء
كتابه العزيز
الذين خصَّهم
بفضله، ومنَّ
عليهم برضاه

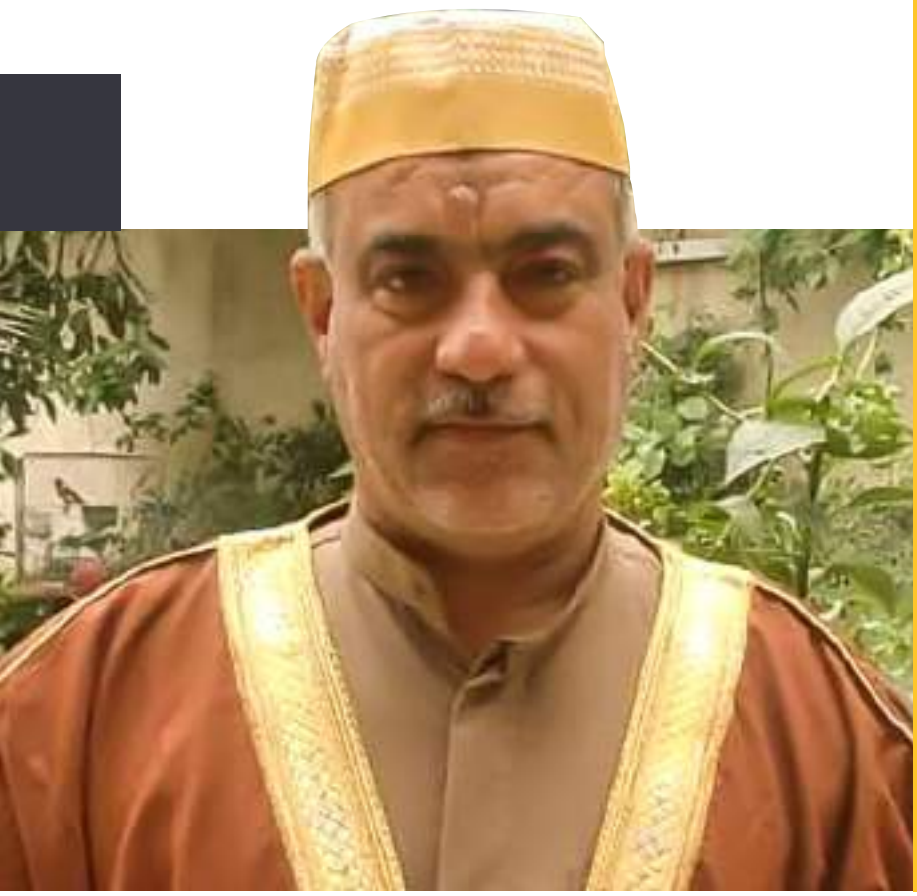

رغد عزيز

الحاج رسول الكاظمي

الأستاذ القارئ .. والخادم المقرئ

في ضيافة مجلة (ق والقرآن المجيد)

أضفت قداسة مدينة الكاظمية روحية مختلفة على أبنائها، فأوجدت من بينهم علماء وفقهاء وخطباء وأدباء وحفظة لكتاب الله العزيز وقُرّاء ومُقرئين له، فقد كان لهذه المدينة حظوة عالية جعلت ذكراً حاضراً لها في المحافل العلمية، فضلاً عن المحافل القرآنية التي تخاطب الروح والوجدان لترتقي بهما إلى أرفع الدرجات في نقاء النفس وحبِّ الله جل وعلا، فقد زخرت الكاظمية بمساعي أبنائها بنشاط قرآني ملحوظ، أنتج أسماء يشار لها بالبنان بين خَدَمَة كتاب الله العزيز، ومن هؤلاء، القارئ الشيخ (رسول الكاظمي):

البطاقة الشخصية

الشيخ رسول قاسم علي الزبيدي، الابن البار لمدينة الكاظمية، ولد سنة ١٩٦١م، ودرس الابتدائية في مدرسة الفرزدق، ثم في متوسطة العدالة، وتخرج من إعدادية التأميم سنة ١٩٨١م. حصل على شهادة البكالوريوس من كلية الهندسة الكهربائية جامعة بلغراد يوغسلافيا، وفي عام ١٩٨٨م حصل على الماجستير في الهندسة الكهربائية من نفس الجامعة، وعمل بصفة أستاذ جامعي في معهد التكنولوجيا قسم الكهرباء.

هل لمدينة الكاظمية أثر لاختيارك نهج القرآن الكريم؟

بكل تأكيد، فإنَّ أغلب عوائل مدينة الكاظمية المقدسة من الملتزمين بتعاليم الدين الحنيف، وبحبِّ القرآن الكريم وآل البيت الطاهرين، وأنا صغير لم أتجاوز الخامسة من عمري كان جدي (رحمه الله) يأخذني معه يومياً إلى الصحن الكاظمي الشريف لحضور الصلاة، ومشاهدة المحافل والمناسبات الدينية.

وكانت لي رغبة شديدة بدراسة وتدريس القراءات القرآنية المتواترة خاصة وهي معروفة ومتداولة في أرجاء الوطن العربي.

ما هي بداياتكم مع القرآن الكريم دراسة وتدريساً؟

كما يعلم الجميع، كانت النشاطات القرآنية في المساجد والحسينيات محظورة قبل سقوط النظام المباد، ولكن بعد أنْ كان الانفتاح أكبر وسرعان ما استثمرته كما غيري من خَدَمَة القرآن الكريم حيث التحقت بالمؤسسة القرآنية العراقية في الكاظمية المقدسة، وحصلتُ على الإجازة بقراءة (الإمام عاصم الكوفي براوية شعبة وحفص) من قبل أستاذي الشيخ (عامر ذنون)، ثم أكملت دراسة القراءات العشر في نفس المؤسسة على يد المشايخ وأذكر منهم (الشيخ محسن الطاروطي) وهو من مشايخ الأزهر ــ تتلمذت على يده طيلة تواجده بالمؤسسة ــ كذلك الشيخ (سامي الخفاجي) وهو حاصل على الإجازة بالقراءات العشرة من شيخ مقارىء الشام الشيخ (محمد كريم راجح).

كما تمت المباشرة بفتح دورات لتدريس القرآن الكريم وذلك ــ لكون أن مساجدنا وجوامعنا كانت تقريبا خالية من هذه النشاطات ــ فبدأت بجامع الرسول في الكاظمية، وفي الجامع الحسيني في مدينة الحرية، كذلك تدريس أصول القراءة التحقيقية والقراءات في أغلب مساجد الكاظمية المقدسة، وخاصة في مقام السيد الشريف الرضي (رض) والحسينية الأفغانية طيلة أيام الأسبوع.

أذكر لنا بعض مؤلفاتكم في هذا المجال؟

خلال دراستي للقراءات لاحظت عدم وجود مصاحف لهذه القراءات، وقِلّة مصادرها في العراق، فمن المعلوم أنَّ كل قراءة تحتاج إلى معرفة الأصول بتلك القراءة أو الرواية، كذلك أنَّ لكل قارئ من القرّاء السبع أو العشرة راويَيْن مشهورَيْن، ولمعرفة أي قراءة يتوجب معرفة عنصرين مهمين هما أصول تلك الرواية ثم (الفرش) أي المصحف الخاص بها، وعادة أنَّ الحصول عليها صعب، لذلك قررت التأليف بالقراءات العشرة وبدأت بها بعد أنْ حصلت على الإجازة بتلك القراءات، إذ قمت بجمع المصادر الخاصة بها، من داخل العراق وخارجه، حيث سافرت مرات عدة إلى سوريا وبالخصوص إلى مكتبة دار المعرفة وهي معروفة ومشهورة بتخصصها بطبع المصاحف المعشرة والمصاحف الخاصة بالقراءات وبكل رواية، وقد رافقني بعض تلامذتي من طلاب علم القراءات العشرة في سفري هذا.

ولكون اختصاصي التدريس قمت بتأليف ثلاثة كتب في علم أحكام تلاوة القرآن الكريم وأصول القراءات السبع للقرآن الكريم عن طريق الشاطبية. وهن ثلاث مؤلفات (القول المفيد في أحكام التجويد) و(القولُ المفيدُ في أصول القراءات السبع للقرآن المجيد) و(الأصول المعتبرة في قراءة الثلاثة أصحاب الدرة)، وهي محفوظة في دار الكتب العراقية. وقد تم نشرها في موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) بصيغة (pdf) لتكون في متناول الجميع للاطلاع عليها وتحميلها، كما أنها متوفرة بنسختها الورقية في مكتبة القباب الذهبية الكائنة في مدينة الكاظمية، وقد تم الإفادة من هذه المؤلفات لأكثر المؤسسات القرآنية لرفد طلاب العلوم القرآنية وغيرهم.

هل هناك إقبال في تعلم علم التجويد والقراءة؟

منذ أكثر من خمسة عشر سنة ونحن مستمرون بتدريس هذه العلوم القرآنية ونشرها، يلتحق إلينا الكثير من الطلاب لكسب العلم والمعرفة بهذه العلوم وتخرَّج على أيدينا الكثيرون ومن محافظات العراق كافة وحتى من خارجه.

رغم الإمكانيات المتواضعة جداً، فإنَّ طلابنا الذين تخرجوا أصبحت لديهم مؤسسات وحلقات دراسية في مناطق سكناهم وجوامعهم وأخذت بالتوسع الكبير في السنوات العشرة الأخيرة، نتيجةً للإقبال المتزايد.

هل لكم ذكر بعض دروسكم ومحافلكم القرآنية؟

* درس القراءة التحقيقية والقراءات في مقام السيد الشريف الرضي (رض).
* درس أحكام التلاوة في ديوان السيد الجواهري الكاظمية المقدسة.
* الختمة القرآنية اليومية المقامة في الحسينية الأفغانية بعد صلاة العشاء.

كلمة أخيرة؟

أسال الله أنْ يوفق جميع خدمة القرآن الكريم لما يحبه ويرضاه ويسدد توفيقاتهم، وأدعو جميع أولادنا وإخواننا وأخواتنا أنْ لا يتركوا نصيبهم من القرآن، وأنْ يلتحقوا بالدورات القرآنية، كما قال الله عز وجل لنبينا الأكرم محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾، وأنَّ القرآن رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وإنَّ خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه. وقال مولانا الإمام الصادق ﷺ: (لا ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعليمه). وفقنا الله وإياكم لخدمة الكتاب المجيد.

رغم الإمكانيات المتواضعة جداً، فإنَّ طلابنا الذين تخرجوا أصبحت لديهم مؤسسات وحلقات دراسية في مناطق سكناهم

فَزِعْتُ مرعُوباً

زينب حسين

فزعت مرعوباً بعد استرداد روحي التي هامت بعيداً عن جسدي لتطوف في عالم الرؤى والأحلام، وتعيش في أجوائها، وتخوض غمارها وتعود مصورة الأحداث والمواقف كفيلم سينمائي تحفظه الذاكرة في ملفاتها؛ لتبثه وتعيد عرضه في كل حين.

وفي هذه المرة لم يكن فيلماً عادياً بل مخيفاً ومؤلماً، وهذا ما جعل القلق يتغلغل في نفسي، ويستشري في خلايا عقلي، ويأمرها بالاضطراب والتفكير السلبي، ويجبرها على توقع حدوث أمور سيئة، وعدم الاقتناع على أنها ربما تكون مجرد أضغاث أحلام.

فسارعت إلى صندوق الصدقات لأدفع بلاء هذا الكابوس بمبلغ مالي، واتصلت فوراً بولدي لأطمئن عليه، وعلى عائلته من دون الاكتراث بالوقت، فأجابني والنعاس مسيطر عليه: ماذا بك يا أبي؟ هدئ من روعك، فنحن بخير وكلنا نائمون في هذه الساعة المبكرة.

كلماته أعادت الاستقرار إلى خلايا عقلي، وبثت السكينة في قلبي ونفسي على الرغم من بعض الخوف الذي كان ينتابني عندما تحاول الذاكرة إعادة عرض ذلك الفيلم المرعب كلما حانت لها الفرصة، إلى أن انتهى النهار ونمت في ليلته لأفزع مرة أخرى على أحداث هذا الحلم المُروِّع، الذي بات يتكرر في كل ليلة، وتتجدد برؤيته اتصالاتي وزياراتي الاستقصائية لهم حتى كدت أجن، لأنني لم أجد تفسيراً واقعياً له.

وذات يوم اتصل ابني ليطلب مني المبيت مع عائلته لأيام معدودة لأنه سيسافر من أجل العمل، وفي ليلتي الأولى هناك راودني نفس الحلم المزعج لأهرع وأتفقد أحفادي وأطرق أبواب غرفهم، لأفاجأ بأنهم لم يناموا بعد في هذا الوقت المتأخر وكلٌّ في مخدعه وصومعته بمعزل عن الآخر، تجمعهم خيوط تلك الشبكة العنكبوتية، يترعون في سمومها، فأسررت ذلك في نفسي ولم أعاتبهم بل تركتهم ورجعت إلى مخدعي، كاتماً غضبي كابتاً لوعتي.

وفي اليوم التالي وبعد الانتهاء من وجبة الغداء اجتمعت بهم وقلت لهم بهدوء: لقد حيرني ذلك الحلم الذي أراكم فيه في كل ليلة، فأجابني أحدهم: لقد شوقتنا يا جدي لنتعرف على أحداثه. أجبتهم بحسرة: إني أراكم في منامي في حال يرثى لها، وقد أصفرّت وجوهكم وأصابكم الفقر الشديد والبؤس والحرمان، تلتقطون طعامكم من القمامة، وتلبسون ثياب رثة بالية، وتسكنون في بيت مظلم متهالك آيل للسقوط، والأدهى من ذلك كله هو تشاجركم العنيف كحيوانات الغاب المفترسة، أو كأعداء في حرب ضارية، فأظل أصرخ وأصرخ وأحاول فك النزاع، ولكن من دون جدوى، فلا أحد يسمعني، ولا أحد يراني، حتى تضيق أنفاسي، وأكاد أموت هلعاً، فأستيقظ فزعاً وقلبي مغتم حزين يعتصر ألماً.

فبانت علامات التعجب على وجوههم وقال أحدهم متظاهراً بعدم المبالاة: ومن أين يأتي الفقر إلينا ونحن أغنياء ولا ينقصنا شيء؟ إنه مجرد حلم يا جدي فلماذا كل هذا القلق؟

أجبتهم وأنا أهز برأسي: فأما بوادر الفقر فقد بانت أساريره بعد أن سمعت من أبيكم بأنَّ شركته على وشك الإفلاس، لأنه وضع كل رأس ماله في تجارة خاسرة، وهذا ما لا تعلمونه ولكنكم أحد أسبابه كما اتضح لي، فقال أكبرهم مستغرباً: وما دخلنا نحن بعمل والدي؟ وما الذي فعلناه لكي يخسر والدي كل أمواله؟ وما علاقة الحلم بكل هذا؟

لقد اكتشفت أخيراً من خلال تلك الكوابيس المتكررة بوجود خطر يحدق بكم، ولقد تأكدت من تفسيرها بعد اطلاعي على ما تسمعونه من المحرمات وتطربون عليها من أغانٍ وترهات تفسد عقولكم وتعمي قلوبكم وتحرفكم يميناً وشمالاً عن جادة الطريق السليم، وقد أعرضتم عن قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1]، وأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام مستفيضة بتحذيرنا من الغناء وما يؤول استماعنا له من ويلات وفتن ومنها الفقر والنفاق، فعن الإمام علي عليه السلام قال: (كثرة الاستماع إلى الغناء يورث الفقر)[2]، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام: (الغناء يورث النفاق)[3].

فبهتوا جميعهم، وقال أحدهم وقد أخذته العزة بالإثم: لا يا جدي لا تخلط الأمور، فالغناء أصبح شيء معتاد عند الناس ومن مقتضيات لغة العصر، فلا يستوجب كل هذا التهويل. فقلت له: سأسألك عن الغناء كما سُئل الإمام الباقر عليه السلام عنه من قبل، وأجاب قائلاً: إذا ميز الله بين الحق والباطل فأين يكون الغناء؟[4]

أعدت على الكل هذا السؤال عدة مرات وقلت لهم: هيا أجيبوني، فقالوا وهم يتلعثمون ويطرقون برؤوسهم: مع الباطل، إذن يا أحفادي الأعزاء اسمعوا كلامي واعقلوا قولي استبدلوا الأدنى بالأعلى واستعيضوا عن لهو الحديث وكلام الزور المحرّم بالقرآن المكرّم، فهو نور للقلوب المظلمة وللبيوت المدلهمة وهو البركة العظمى والغنى في الدنيا والآخرة.

١- سورة لقمان: الآية٦.

٢- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٨، ص١٠٧.

٣- المصدر نفسه، ج٧، ص٣٨٢.

٤- مسند الإمام الرضا عليه السلام، الشيخ عزيز الله، ج٣، ص٣٥٩.

(بتشبع بنت اليعام)

ورد الشبهة عن النبي داود عليه السلام

الإساءة إلى مبعوث السماء إنما هي إساءة للباري عز وجل وحرب معلنة ضده، فالطعن برسول السماء وتخطيئه واتهامه بارتكاب المعاصي والآثام إنما هو طعن باختيار المولى وعلمه وحكمته وتدبيره للأمور، وقد استخدم أعداء رسل السماء أساليب متعددة وأسلحة متنوعة لتكذيب دعوتهم وتسقيطهم اجتماعياً، وتعد المرأة وما يقع في قلب الرجل تجاهها أحد الأدوات والأسلحة التي استخدموها هؤلاء لتحقيق مآربهم، وممن ابتلي بهذا البهتان نبي الله داود ﷺ، فقد اتهم بالميل إلى (بتشبع بنت اليعام) زوجة (أوريّا) أحد كبار قادة جيشه، وابنة أحد المسؤولين آنذاك[1]، حيث (جاء في سفر صموئيل، الإصحاح الحادي عشر: أنَّ (أوريّا) كان قائداً عند داود، وكان عنده امرأة جميلة، فعشقها داود، وأرسل زوجها إلى الحرب وعرضه للقتل ليتخلص منه، وزنا بزوجته في غيابه! فقتل (أوريّا) وجاء داود بزوجته إلى بيته!)[2]، وعلى الرغم من أنَّ القرآن الكريم نفى التهم والأكاذيب المنسوبة للنبي داود ﷺ من خلال تأكيده على نبوته وعلمه وإيمانه وفضله وتنزيهه من المعاصي والآثام، حيث مقام الأنبياء الذين يجب أن تتوافر فيهم هذه الصفات، إذ جاء ذكره على غير مرة وصورة، منها بشكل ضمني في الآيات الشاملة لجميع الأنبياء والرسل كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[3]، وقوله عَزَّ من قائل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ﴾[4]، وأخرى بشكل عيني بذكر اسمه ﷺ كقوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء﴾[5]، وقوله عَزَّ وجل: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[6]، وقوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[7]، لكن من المؤسف أنَّ الأمة التي خاطبها القرآن بلسان عربي فصيح، قد آثر بعضهم قول الباطل على الحق، وأخذ يجافي المصادر الإلهية في التفسير والتأويل، ويتخذ من الكذب وحديث أهل الكفر والفسوق مصدراً ومعتمداً لها، حتى أنهم أخذوا يزجُّون ذكر امرأة (أوريّا) في قصص القرآن!!، حيث جعل بعض الرواة والمفسرين تلك القصة الملفقة سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[8]، حيث كان قولهم فيها: (وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) قال: إنَّ داود ﷺ قال يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لو وددت أنك أعطيتني مثله، قال الله عز وجل إنِّي ابتليتهم بما لم أبتلك به، فإنْ شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم. قال: نعم. قال له: فاعمل حتى أرى بلاءك..، فبينما هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة فأراد أنْ يأخذها فطارت على كوة المحراب، فذهب ليأخذها فطارت، فاطلع من الكوة فرأى امرأة تغتسل، فنزل من المحراب فذهب ليأخذها فأرسل إليها فجاءته، فسألها عن زوجها وعن شأنها، فأخبرته أنَّ زوجها غائب، فكتب إلى أمير تلك السرية أنْ يؤمره على السرايا ليهلك زوجها ففعل، فكان يصاب أصحابه وينجو وربما نصروا، وأنَّ الله عز وجل لما رأى الذي وقع فيه داود ﷺ أراد أنْ ينفذ أمره، فبينما داود ﷺ ذات يوم في محرابه إذ تسور عليه الملكان من قبل وجهه..، فقالا له: لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض..، قال له داود ﷺ أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه، لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه إلى قوله وقليل ما هم ونسى نفسه، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال، فتبسم أحدهما إلى الآخر فرآه داود ﷺ، فظن أنما فتن فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً وأناب أربعين ليلة)[9].

وقد وضح الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ أسباب نزول الآية الكريمة إذ روي عن علي بن الجهم أنه حدَّث الإمام ﷺ بما يقال في قصة زوجة (أوريّا)، يقول ابن الجهم: (فضرب الرضا ﷺ بيده على جبهته، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد نسبتم نبيّاً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته، حتى خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة، ثم بالقتل! فقال: يا ابن رسول الله ، فما كانت خطيئته؟ فقال: ويحك، إنَّ داود إنّما ظنّ أنَّ ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسوَّرا المحراب، فقالا: ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ* إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ فعجل داود ﷺ على المدعى عليه، فقال: (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه)، ولم يسأل المدعي البينة على ذلك، ولم يقبل على المدعى عليه فيقول: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة حكمه، لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع قول الله عز وجل يقول: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق)، فضلاً عن أنه ﷺ قد بيَّن في موضع آخر علة زواج النبي داود ﷺ من تلك المرأة وهي تطبيق شريعة السماء التي نصَّت على حفظ حقوق المرأة كإنسانة لها مكانتها وخصوصيتها المفروضة الاحترام على الجميع، حيث جاء عن الإمام الرضا ﷺ أنه قال: حين سُئل عن علة ذلك الزواج: (إنَّ المرأة في أيام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله عز وجل له أنْ يتزوج بامرأة قتل بعلها داود ﷺ، فذلك الذي شق على [الناس] من قبل زوجة (أوريّا))[10].

أما الاستغفار الذي أشارت له الآية الكريمة إنما جاء به ﷺ لعلة معينة ألا وهي (إنَّ الآداب المستحبة في القضاء توجب عليه ﷺ أنْ يتأنى في إصدار الحكم ولا يتعجل، واستغفاره إنما كان لتركه العمل بالأولى))[11].

ختاماً إنَّ أمثال هذه الروايات التي تصدر بحق الأنبياء ﷺ يجب عدم التعويل عليها مطلقاً لأنها تخالف بديهيات مقام الأنبياء.

١- ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ١٤، هامش ص٤٨٤.

٢- مقدمة في أصول الدين: الشيخ وحيد الخراساني، ص٨٨.

٣- سورة النساء: الآية١٣٦.

٤- سورة الحديد: الآية١٩.

٥- سورة البقرة: الآية٢٥١.

٦- سورة الإسراء: الآية٥٥.

٧- سورة النمل: الآية١٥.

٨- سورة ص: الآيات٢١-٢٤.

٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، ج ٥ ، ص٣٠١.

١٠- الأمالي: الشيخ الصدوق، ص١٥٣.

١١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١٤، ص٤٩٢.

صفات الحروف في العملية النطقية

القسم الرابع

عبد الكريم الأنصاري

في الأعداد السابقة كان الحديث عن صفات الحروف وأصولها وآليات إنتاجها، وعندها تم تصنيف الأصوات إلى مميزة ومحسنة، وذكرنا من الصفات المميزة صفتي الهمس والجهر، وكذلك صفتي الشدة والرخاوة والتوسط بينهما، أما في هذا العدد فسوف يكون البحث حول الإطباق والانفتاح واللتين تمثلان الصفة الثالثة من صفات الحروف المميزة.

الإطباق والانفتاح

الإطباق والانفتاح صفتان متقابلتان كبقية الصفات المميزة، إذ أنهما تميِّزان بين عدد من الأصوات المتحدة المخرج، وهاتان الصفتان تتعلقان بانحصار الصوت، فالحروف المطبقة هي التي ينحصر فيها الصوت ما بين اللسان والحنك الأعلى.

أما الصفات المنفتحة فيكون الصوت منحصرًا في مواضعهن، ويرجع أساس هذا التقسيم إلى ما ذكره سيبويه، حيث قال وهو يتحدث عن صفات الحروف: (ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى.

وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف، وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن.

فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّنَ بحصر الصوت، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سيناً والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها)[1].

١- الكتاب: ٤/٤٣٦.

نظرة في كلام سيبويه

وقول سيبويه (ت ١٨٠هـ)[2] (ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً) مبني على أنَّ الطاء كانت مجهورة في عصره، أما اليوم فإن الذي يطابق النطق السائد للطاء هو القول: (ولولا الإطباق لصارت الطاء تاءً). وكذلك الأمر بالنسبة للضاد فإن سيبويه يتحدث هنا عن الضاد العربية القديمة أما الضاد التي تنطق في زماننا فهي إما النظير المطبق للدال، كما في نطق المصريين، وإما النظير المطبق للذال، أي أنها تماثل الظاء تماماً، كما في العراق.

رأي علماء التجويد حول الإطباق والانفتاح

تابع علماء التجويد سيبويه في تعريف الصوت المطبق والصوت المنفتح، فقال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): (وإنما سميت بحروف الإطباق لأنَّ طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم)[3].

وقال: (وإنما سميت بالمنفتحة لأنَّ اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك بل ينفتح ما بين اللسان والحنك)[4].

وقال عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦٢هـ): (والإطباق أنْ ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك إلى مواضعهن ... والانفتاح لا تطبق لسانك برفعه إلى الحنك فلا ينحصر الصوت)[5].

ويلاحظ هنا أنَّ سيبويه وعلماء التجويد اللذين اقتبسنا عنهم النصوص السابقة لم يذكروا بشكل صريح ما ذكره المحدثون من تقعر اللسان عند النطق بهذه الحروف وذلك باتصال طرف اللسان بمواضعهن مع تصعد أقصى اللسان نحو الحنك، وإنما اكتفوا بالإشارة إلى انطباق ظهر اللسان على الحنك الأعلى، إلا أنَّ هناك عالمين نَصَّا على هذه الظاهرة، أحدهما من علماء العربية والآخر من علماء التجويد. فقد قال الأستراباذي[6]: (فيصير الحنك كالطبق على اللسان)[7]. وقال المرعشي[8]: (إن اللسان يكون مقوسًا عند النطق بالصوت المطبق)[9]. وهذا يدل على تأكيدهما على حالة التقعر التي يكون عليها اللسان عند النطق بتلك الأصوات الأربعة.

وكان علماء التجويد على معرفة تامة بدور ظاهرة الإطباق في التمييز بين الأصوات فرددوا ما قاله سيبويه: (ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام)[10]. وحاولوا توضيح هذه الظاهرة مثل قول مكي بن أبي طالب: (ويجب أنْ تعلم أنَّ الظاء تشبه في لفظها أيضًا الذال، فإذا أزلت لفظة الإطباق من الظاء صارت ذالاً، وكذلك لو زدت لفظ الإطباق في الذال لصارت ظاءً، وإنما كان ذلك كذلك، لأنَّ الظاء والذال من مخرج واحد وهما مجهوران، ولولا الإطباق والاستعلاء اللذان في الظاء لكانت ذالاً)[11].

٢- أبو بشر عمرو بن عثمان.
٣- الرعاية: ص٩٨.
٤- الرعاية: ص٩٨-٩٩.
٥- الموضح: أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي، وانظر إلى التحديد في الاتقان والتجويد لأبو عمرو بن سعيد الداني الأندلسي (ت٤٤٤هـ).
٦- رضي الدين محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ).
٧- شرح الشافية: ٣/٢٦٢.
٨- محمد بن أبي بكر المعروف بـ(جقلي زاده) (ت١١٥٠هـ).
٩- بيان جهد المقل ١٨.
١٠- عبد الوهاب القرطبي: الموضح: ١٥٦.
١١- الرعاية: ص١٩٥، وانظر أيضًا ص١٧٥، ص١٨٥، ص١٩٠.

الفرق بين الإطبـــاق والانفتـــاح

الإطبـاق	الانفتـــاح
١- لغةً: الالتصاق.	١- لغةً: الافتراق.
٢- اصطلاحًـا: التصـاق الصـوت بالحنـك الأعـلى بسـبب الالتصـاق الحاصـل بـين طائفـة اللسـان ومـا يقابلـه مـن الحنـك الأعـلى.	٢- اصطلاحًـا: افـتراق الصـوت عـن الحنـك الأعـلى بسـبب الافـتراق الحاصـل بـين اللسـان ومـا يقابلـه مـن الحنـك الأعـلى.
٣- حروف الإطباق أربعة (ص، ض، ط، ظ).	٣- حـروف الانفتـاح خمـس وعـشرون حرفـا وهـي مـا عـدا حـروف الإطبـاق.
٤- كل حرف مطبق مستعلٍ.	٤- ليس كل حرف منفتح مستعلٍ إلا ثلاث حروف (غ، خ، ق).
٥- يكـون اللسـان مقوسـاً عنـد النطـق بالصـوت المطبـق نحـو الأعـلى.	٥- يكـون اللسـان مسـترخياً عنـد النطـق بالصـوت المنفتـح نحـو الأسـفل.
٦- لـو لا الإطبـاق لصـارت الطـاء دالاً والصـاد سـيناً والظـاء ذالاً ولخرجـت الضـاد مـن كلام العـرب.	٦- لو لا الانفتاح لصارت الدال طاءً والسين صاداً والذال ظاءً.
٧- لها موضعان من اللسان (ظهر اللسان وموضع الحرف).	٧- لها موضع واحد من اللسان وهو موضع الحرف.
٨- هذه الحروف تمنع الإمالة.	٨- لا تمنع الإمالة إلا الغين والخاء والقاف لأنها مستعلية.

لطافة الأمثال في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله

إنَّ الله سبحانه أورد الأمثال المختلفة في أغلب آيات القرآن الكريم وضربها للناس لتوضيح وتقريب الفكرة وترسيخها في أذهانهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، كذلك سار رسوله الكريم صلى الله عليه وآله على النهج نفسه فضرب الأمثال في أحاديثه بأسلوب بسيط ولطيف لتدركها العقول من خلال استخدام وسائل التمثيل أو التشبيه أو الإشارة، وسنورد بعضًا منها:

مَثلُ الاستقامة والانحراف

إنَّ النبي صلى الله عليه وآله استخدم وسيلة الرسم في توضيح فكرة الاستقامة واتباع طريقه الحق وعدم الحياد عنه، واتخاذ الطرق المنحرفة التي تؤدي إلى التفرقة والشتات، وبالتالي اقتفاء أثر الشيطان الذي يؤدي إلى الهاوية، فعن ابن مسعود: خط رسول الله صلى الله عليه وآله خطاً بيده ثم قال: (هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1])[2].

١- سورة الأنعام: الآية١٥٣.

٢- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٩، ص١٣٩.

مَثلُ النبي صلى الله عليه وآله وأمته ورسالته

ولقد بيَّن الرسول صلى الله عليه وآله علاقته بأمته والغاية من بعثته وضرب لهم مثلاً عملياً بطريقة مبسطة، من خلال عرضه لصورة افتراضية متخيَّلة لكي يشرح دوره في هدايتهم إلى الدين الحنيف وإيصالهم إلى النجاة والسعادة والفوز إذا ما أطاعوه وعملوا بأوامره، ويحذرهم من الهلاك والشقاء والخسران عند إصرارهم على الضلالة والتيه والعمى وعدم الأخذ بأمره ونهيه، إذ قال صلى الله عليه وآله: (مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان (العاري من الكذب) فالنجاء النجاء (أي انجوا بأنفسكم)، فأطاعته طائفة من قوم فأدلجوا (ساروا بالليل) وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانه فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق)[3]، ويبين الله تعالى هذا الأمر بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[4].

٣- المصدر نفسه، ج٩، ص١٤١.

٤- سورة الفتح: الآية١٧.

مَثلُ القرآن والناس

أما عن فوائد القرآن الكريم وبركاته الإلهية وخيراته الوفيرة التي أفاضها الله عز وجل على الذين يقرؤون آياته، فقد ضرب النبي ﷺ مثالاً رائعاً يقرب هذا المعنى لهم عن طريق التشبيه بقوله: (مثل القرآن ومثل الناس كمثل الأرض والغيث، بينما الأرض ميتة هامدة إذ أرسل الله عليها الغيث فاهتزت، ثم يرسل الوابل (المطر الغزير) فتهتز وتربو (تنمو نباتاتها)، ثم لا يزال يرسل الأودية حتى تبذر وتنبت ويزهو نباتها ويخرج الله ما فيها من زينتها ومعايش الناس والبهائم، وكذلك فعل هذا القرآن بالناس)[٥].

وفي مثل آخر صوَّر ﷺ المنتفعين بالقرآن وغير المنتفعين به عن طريق التشبيه أيضاً بقوله ﷺ: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم (القرآن) كمثل الغيث (المطر) الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية (خصبة) قبلت الماء وأنبتت الكلأ (النبات) والعشب الكثير، وكانت منها أجادب (صحراوية) أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان (سبخة) لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)[٦]، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾[٧]، وقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٨].

٥- ميزان الحكمة، ج٩، ص١٤٢.
٦- المصدر نفسه، ج٩، ص١٤٢.
٧- سورة الإسراء: الآية٨٢.
٨- سورة محمد: الآية٢٤.

تأملات قرآنية

-٩-

روي عن النبي ﷺ: ((إِنَّ الَّذِيْ لَيْسَ فِيْ جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ)).

تأملات في الحديث

١- إنَّ في الحديث دلالة واضحة على أهمية معاهدة القرآن الكريم؛ لما فيه من تعاليم مهمة جدًّا تحافظ على البيت الحقيقي للإنسان وهو (القلب)، وهذا البيت يحتاج إلى كُلِّ ما يحافظ عليه من التصدُّع والأذى والانحراف والخراب والظلمة، وكُلُّ ذلك يمكن من خلال مأدبة الله العظيمة القرآن الكريم، فبتعاليمه يتم الحفاظ على هذا البيت، والفخر به أمام الآخرين، وبيان آثاره، والاستعداد التام لاستقبال الضيوف فيه وهم الملائكة.

٢- إنَّ الحديث الشريف أراد أنْ يشبِّه الإنسان الذي لم ينتفع بنور كتاب الله تعالى فهو لا يمكنه أنْ يستضيء بأيِّ نور، فكما البيت الخرب الذي لا يأنس الإنسان به، ويتمنى تبديله والخلاص منه، فكذلك هو واقع الذي ابتعد عن كتاب الله، وفي ذلك دعوة للخلاص من هذه الوحشة والعذاب.

٣- إنَّ القلب هو بيت الله تعالى، فكما أنَّ الله تعالى قد أمر بتطهير بيته الحرام الظاهري، فهو يتمنى على كُلِّ إنسانٍ أنْ يطهر بيت الله الباطني (القلب) من كُلِّ ما لا يليق به من تكبر، وعجب، وأنانية، وفخر ....، وفي الرواية إنَّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب، فالبيت هو القلب، والكلب هي الشهوات واللذات الساكنة في القلب، فعلينا طرد كُلِّ أولئك حتى نستقبل ضيوف الله تعالى (الملائكة) بسكون وطمأنينة.

وهذا لا يكون -حقيقة- بمجرد التلاوة ما لم يكن مصحوبًا بالجهاد والعمل، لتظهر آثار القرآن وأنواره على من يتلوه، فلا يكون خربًا.

العزيز يوسف عليه السلام وإخوته في مصر

كان بين مصر وموطن أبيه يعقوب وعائلته ثمانية عشر يوماً، وكان الناس من الآفاق يخرجون إلى مصر ليمتاروا طعامًا، وكان يعقوب وولده نزولاً في بادية فيه مقل[1]، فأخذ إخوة يوسف من ذلك المقل وحملوه إلى مصر ليمتاروا به طعاما، وكان يوسف يتولى البيع بنفسه، فلما دخل إخوته على يوسف عرفهم ولم يعرفوه كما حكى الله عز وجل: ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة، ونسيانهم إياه، وتوهمهم أنه هلك، وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه، وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام، فلما جهزهم بجهازهم وأعطاهم وأحسن إليهم في الكيل قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الله الذي ألقاه نمرود في النار فلم يحترق فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، قال: فما فعل أبوكم؟ قالوا: شيخ ضعيف، قال: فلكم أخ غيركم؟ قالوا: لنا أخ من أبينا لا من أُمنا، قال: فإذا رجعتم إليَّ فائتوني به وهو قوله: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ثم قال يوسف لقومه: ردوا هذه البضاعة التي حملوها إلينا اجعلوها فيما بين رحالهم حتى إذا رجعوا إلى منازلهم ورأوها رجعوا إلينا، وهو قوله: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، إنما فعل ذلك توسيعاً وتفضلاً عليهم، وترفعاً من أنْ يأخذ ثمن الطعام منهم، وخوفاً مِنْ أنْ لا يكون عند أبيه ما يرجعون به، ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فقال لهم نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ في رحالهم التي حملوها إلى مصر، وقد حكم العزيز بمنعه بعد هذا إنْ لم نذهب ببنيامين، وماذا نطلب؟ هل من مزيد على ذلك؟ أكرمنا وأحسن مثوانا، وباع مِنَّا وردَّ علينا متاعنا، وقالوا: ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾، فقال نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾، قال يعقوب عليه السلام: ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾، فخرجوا وقال لهم يعقوب: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، إنما قال ذلك لما خاف عليهم من العين، وقيل: لما اشتهروا بمصر بالحسن والجمال وإكرام الملك لهم خاف عليهم حسد الناس، وقيل: إنه عليه السلام

١- نوع من الثمر.

كان عالماً بأنَّ عزيز مصر ولده يوسف إلا أنَّ الله تعالى لم يأذن له في إظهار ذلك، فلما بعث أبناءه إليه وكان غرضه أنْ يصل بنيامين إلى يوسف في وقت الخلوة. "ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم أي من أبواب متفرقة في البلد، ما كان يغني عنهم من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام، فأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله، وتضاعفت المصيبة على يعقوب ولكن حاجة في نفسه، يعني شفقته عليهم وخوفه مِنْ أنْ يعانوا أو غير ذلك مما مر (قضاها) أي أظهرها ووصى بها، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ بالوحي ونصب الحجج ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أسرار القدر[٢].

السرقة سبب الاسترقاق

عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، كانت الحكومة في بني إسرائيل إذا سرق أحد شيئاً استرق به، وكان يوسف عليه السلام عند عمته وهو صغير وكانت تحبه، وكانت لإسحاق عليه السلام (مِنطقة)[٣] ألبسها أباه يعقوب فكانت عند ابنته وأن يعقوب طلب يوسف بأخذه من عمته فاغتمت لذلك وقالت له: دعه حتى أرسله إليك فأرسلته وأخذت المنطقة وشدتها وسطه تحت الثياب، فلما أتى يوسف أباه جاءت فقالت: سرقت المنطقة ففتشته فوجدتها في وسطه، فلذلك أخوة يوسف حين جعل الصاع في وعاء أخيه أنْ يسرق سرق أخ له من قبل، فقال لهم يوسف: ما جزاء من وجد في رحله؟ قالوا: هو جزاؤه كما جرت السُّنة تجري فيهم، فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه، ولذلك قال أخوة يوسف: إنْ يسرق سرق أخ له من قبل، يعنون المنطق فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم[٤]. وبذلك استرق أخوه بعد أنْ ثبت أنَّه سرق صواع الملك. روي: أنَّهم لَمَّا استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء، وأقبلوا عليه وقالوا له: ما الذي صنعت؟ فضحتنا وسوَّدت وجوهنا، يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء، متى أخذت هذا الصاع؟ فقال: وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: مثل ذلك الكيد أمرنا يوسف ليكيد بما يتهيأ له أنْ يحبس أخاه؛ ليكون ذلك سببا لوصول خبره إلى أبيه، أي: ألهمنا يوسف هذا الكيد والحيلة، فجازيناهم على كيدهم بيوسف أي: كما فعلوا في الابتداء، فعلنا بهم. وما كان يمكنه أنْ يأخذ أخاه في حكم الملك وقضائه، وأنْ يحبسه إذ لم يكن ذلك من حكم ملك مصر وأهله، عن قتادة. وفي حكم الملك، وأهل مصر أنْ يضرب ويغرم ويسجن السارق، وكان من سنة آل يعقوب أنْ يسترق، فالتزم يوسف عليه السلام حكمهم الذي جرى على لسانهم[٥].

٢- ينظر بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، ج١٢ص٢٣٨.

٣- المنطقة: كل ما شد به الوسط/ لسان العرب، لابن منظور، ج١٠ص٣٥٤.

٤- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج٢ص٨٣.

٥- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، ج٥ص٤٣٦.

مفردات قد تفهم خطأ

قد يغفل بعض الناس عن فهم المعنى الحقيقي لبعض المفردات القرآنية، ولا يدركون معناها وتأولها أو يذهب فهمهم بعيداً عن المعنى الصحيح، ومن تلك المفردات ما ورد في قوله تبارك تعالى: (وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) سورة السجدة: الآية ١٠.

فمعنى (ضللنا) هنا أي مِتنا وصرنا تراباً واختلطنا في الأرض — في سياق إنكارهم للبعث — وليس المراد إذا تهنا في الأرض وأضعنا الطريق. (فالمتوفى والمأخوذ عند الموت هو الإنسان، والمتلاشي الضال في الأرض هو البدن وليس به)[1].

١- تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج١٥، ص٢١.

تأويل آية

قال الإمام الباقر ﷺ في قول الله عزّ وجلّ: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[1] هذه نزلت في القائم، يقول: إنْ أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو، فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماء والأرض، وحلال الله عزّ وجلّ وحرامه ؟.. ثم قال: والله ما جاء تأويل الآية، ولا بُدَّ أنْ يجيء تأويلها[2].

١- سورة القلم: الآية ٣٠.

٢- البحار، للعلامة محمد باقر المجلسي، ص ٥١، ج٥٢.

إعداد حسن شاكر الجبوري

التعامل مع الدنيا

إنَّ تعامل الناس بالنسبة إلى الدنيا، على قسمين: قسم توطدوا بالدنيا، ورضوا بالمتاع العاجل. وبتعبير القرآن: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. وهناك قوم انقطعوا إلى الآخرة، وأهملوا الدنيا؛ أي لا يشتغلون للدنيا، فهم غير فعّالين فيها، ويغلب عليهم الذكر اللفظي مثلا، ولا يبالون لا بمجتمعهم ولا بأسرهم.. وهذه أيضا حالة مرفوضة.

إنَّ الكلمة الفصل في هذا المجال لأمير المؤمنين ﷺ: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً).. إنه تعبير رائع جداً!.. فالمؤمن يستثمر كل ما لديه من طاقات وقدرات، لتثبيت دعائم الحياة المادية.. والمؤمن من اهتماماته في الدنيا، أنْ يجمع مالاً وفيراً، ليوقف بها أمراً مادياً، يكون له زادا في عرصات القيامة.. (إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).. من هم أصحاب الصدقات الجارية؟.. هم أصحاب المال؛ فالمؤمن الفقير: رأس ماله الدعاء، والصبر.. أما المؤمن الغني: هو الذي بإمكانه أنْ يبني ما يكون له صدقة جارية، وأنْ يتكفل الأيتام.

فإذن، إنَّ الدنيا مزرعة الآخرة.. في عالم الزراعة: كلما اتسعت رقعة المزرعة، كلما زاد المحصول.. وكلما زاد المحصول، زادت الزكاة الواجبة لذلك المال.. وبالتالي، فإنَّ الدنيا إذا أصبحت في يد أمثال سليمان ﷺ، تصبح نعم العون على الآخرة!

وقفة قرآنية

آية .. ورواية

قال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ سورة البقرة: الآية٢٥٧.

عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلاناً وفلاناً، لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق؟

قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً فأقبل عليَّ كالغضبان، ثم قال:

لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله، قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟!

قال: نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء،

ثم قال، ألا تسمع لقول الله عز وجل:

﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يعني [مِن] ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمام عادل من اللّه.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾

إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما أنّ تولوا كل إمام جائر ليس من الله عز وجل خرجوا بولايتهم [إياه] من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار من الكفار، فـ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

المصدر : الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٣٧٥.

لطائف قرآنية

النعمة والنعيم

هناك الكثير من المفردات القرآنية التي قد يفهم للوهلة الأولى أنها متشابهة من حيث استعمالها القرآني، تثير تساؤلات حول المغزى الكامن وراء ذلك الاستعمال، ومن تلك المفردات كلمتي النعمة والنعيم، فيا تُرى ما سبب ذلك؟ ولماذا استعمل القرآن كلمة النعيم في بعض الآيات، وكلمة النعمة في آيات أخرى؟ وما معنى النعمة وما معنى النعيم وما الفرق بينهما؟

نلاحظ أنَّ كل (نعمة) في القرآن الكريم إنما هي لنعم الدنيا على اختلاف أنواعها،

وهذا ما نراه في كل مواضع استعمالها، مفرداً وجمعاً:

كقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة البقرة: الآية٢١١).

وقوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (سورة إبراهيم: الآية٦).

أما صيغة (النعيم) فتأتي في البيان القرآني متلازمة مع الحياة الآخرة، وهذا ما نراه في كل آيات النعيم:

كقوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ (سورة المعارج: الآية٣٨).

وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (سورة الشعراء: الآية٨٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (سورة لقمان: الآية٨).

إذن كل نعمة في القرآن الكريم إنما هي لنعم الدنيا على اختلاف أنواعها؛ وأمّا النعيم فتأتي في البيان القرآني بدلالة إسلامية خاصة بنعيم الآخرة، وعددها ست عشرة آية.

المصدر: الإعجاز البياني للقرآن، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي٢٣٥، بتصرّف.

مركز الجوادين للوثائق الكاظمية

افتتاح مركز الجوادين للوثائق الكاظمية

ضمن الاستعدادات لتهيئة مكتبة العتبة الكاظمية المقدسة تم افتتاح مركز الجوادين للوثائق الكاظمية ضمنها، ولهذا تهيب الأمانة العامة للعتبة المقدسة بالمهتمين بالشأن الكاظمي والأسر الكاظمية الكريمة التعاون معها بتقديم ما لديهم من وثائق (أصلاً أو صورة) خاصة بالعتبة المقدسة والمدينة المقدسة وأعلامها في مختلف مجالات المعرفة، وتشمل تلك الوثائق مثلاً الكتب والمخطوطات والصور والرسائل والعقود والأختام والطوابع والخرائط والأفلام والتسجيلات الصوتية (بكرة، كاسيت، قرص مدمج) و ...الخ، مع الشكر والامتنان سلفاً.

يكون التواصل من خلال:

Info@aljawadain.org

www.facebook.com/Aljawadain.iq

أو المراسلة عبر تطبيقات (تليغرام أو واتساب أو فايبر)
على الرقم الآتي:

+٩٦٤٧٧٣٥٧٨٥٩٧٠